بسم الله الرحمن الرحيم

التعنُّت عند نقّاد المحدِّثين

مفهومه وأسبابه ومِعياره وآثاره

الباحث: د.سعيد محمد علي بواعنة

التخصص: دكتوراه الحديث النبوي الشريف

الرتبة العلمية : محاضر متفرغ

مكان العمل: جامعة اليرموك – الأردن –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – قسم أصول الدين.

البريد الإلكتروني :**saedbawaneh@yahoo.com**.

التعنتُ عند نقاد المحدثين

مفهومه وأسبابه ومعياره وآثاره

ملخص

استهدف هذا البحث دراسة ما يعرف بمصطلح " التعنت" عند نقّاد المحدّثين وذلك من حيث الوقوف على مفهومه وأسبابه ومعياره وبيان آثاره في واقع علم الجرح والتعديل .

لقد خلصت الدراسة إلى أنَّ التعنت ما هو إلاّ طبعٌ في النّاقد يحمله على التشدد حين الحكم على راوٍ بتضعيفه، مرَدُّه أسباب نفسية أوعلمية أو دينية أو تعصب وهوى،والأصل عند الحكم على الراوي الاعتدال دون تساهلٍ أو إسرافٍ فيه ،وتبين بالبحث أنَّ معيار التعنت عند النقّاد نسبي لا مُطلق ، كما توصّلت الدراسة إلى أنَّ التعنتَ له آثارٌ إيجابية في واقع علم الجرح والتعديل تمثّلت في إبراز قوة ذلك العلم ورسوخ قواعده وإظهار ورع وديانة القائمين عليه وإفراز الرواة المتقنين للحديث من غير المتقنين.

هذا وأظهر البحثُ أنَّ للتعنت آثارًا سلبية تجلت في الخصومة والعداوة والقطيعة بين أهل العلم بسبب اختلافهم في وجهات النظر العلمية ،ونجم عنه إهدار حديث من جرح في روايته كلها لغلطه في حديث بعينه ، وكذا من آثاره السلبية ظهور العصبية المذهبية وغياب الإنصاف العلمي أحيانا من لدن النقّاد ، ومنها أيضا الانتقاصُ من قَدْرِ من كانَ من أهل العلم راويا للحديث وعملَ لدى السلطانِ أو أخذَ جائزة منه أو أُجرةً على التحديث من الرواة أو لاعتماده صيغة للتحديث هي موضع خُلفٍ بين العلماء، وكذا أيضا بات التعنت من أحدِ النقّادِ ذريعة للآخرين يشككون من خلاله في نزاهة حكمه على راوٍ من الرواة.

The inflexibility of Critics Regarding Hadith Narrators:

Its meaning, causes, measures and results

Dr. Said Mohammad Ali Bawa'neh

Abstract

This research aims at studying the term "inflexibility" of the critics regarding al-Mohaditheen (hadith narrators) including its meaning, causes, measures and results in the field of "al-Jaih and al-Ta'deel" ,the science which studies the degree of accuracy of among hadith narrators. The study concludes that the inflexibility is a habit that causes the critic to be adamant and overstrict when judging a narrator Hadeeth as being weak. This is because of psychological, scientific, religious or even fanatical reasons. Ideally, the practice of judging a narrator should be based on moderation rather than on overstrictness or exaggeration. The findings of the study revealed that the criterion on which critics base their judgments is relative rather than absolute. Furthermore, this study revealed that inflexibility had positive results for "al- Jarh and al-Ta'deel" since it highlighted its strength as well as the piety and accuracy of the people involved in this practice. It was also found that there are also negative effects, including disagreement among the practitioners of this science due to the different views they hold.. This led to the rejection of all the hadiths narrated by any narrator who just made a mistake in one hadith. Further, it belittled the integrity of the good narrator who worked with the Sultan or accepted an award or charge. Thus, the inflexibility of the critic has become a means for criticizing the integrity and judgment of such narrators.

مقدمة

الحمد لله الذي دعانا إلى السماحة في أمورنا كلها، وحثّنا على اجتنـــاب العَنَـــتِ ، والصـــلاة والسلام على رسوله الكريم ﷺ ؛ الذي دعانا إلى نبذِ الطِّباع غير المرضيّة ، وحثّنا على الرفق في القـــول والعمل وبشّر بالجنّة من استقام على الأخلاقِ السنيّة ،وسلاما على الأنبياء الكرماء اللطفاء ، ثمّ ســـلاما على الصحابة الأخيارِ الأتقياء- أهل السماحة فيما بينهم – الأشداءِ على كلِّ من تعنّتَ وكفرَ ، والسلام موصولا على من تابعهم بالخير والإحسانِ إلى اليوم الذي فيه الرُّسُلُ أُقِّتَتْ.

وبعد :

فإنّ الأصل الذي ينبغي أنْ يقوم عليه علم الجرح والتعديل هو الإنصاف، والاعتدال، حين إصدار الأحكام على الرواة توثيقًا وتضعيفا ، غير أنَّ طباع البشرِ – ومنهم نقّاد المحدثين – مختلفة وبيئاتهم متنوعة ، فلوحظ أنَّ قسمًا منهم تساهل في تعديل الرواة وقسما ثانياً كان معتدلا يراعي الإنصاف وثالثا تعنّـــت متشدّدا في الأمر، وهذا القسم الأخير جاءت الدراسة هاهنا معنونة له بـــ : " التعنت عند نقّاد المحدّثين " – مفهومه وأسبابه ومعياره وآثاره. ولّما لم يسبق أحد من الباحثين إلى كشف ملابسات هذا الموضوع – في حدود اطلاعي – على الوجه الذي أشرت إليه في العنوان ؛ إذ كلام أهل العلم فيه شذراتٌ ونتـــف متفرّقة في بطون الكتب – جاءت هذه الدراسة محاولة علمية متواضعة لتحاول الوقوف على حقيقة معنى التعنّت والتعرّف على طبيعة الأسباب الباعثة عليه وتحديد معياره ومعرفة ما إذا كان نسبيا أو مطلقًـــا في الأداء النقدي عند أولئك النقّاد ، كما قصدتِ الدراسة تلمّس الآثار الناجمة عن التعنت (إيجابا وسلبا) في واقع علم الجرحِ والتعديل. وتبرز قيمة وأهمية معرفة هذه الأمور في تنبيه المشتغلين بعلم الحديث لا سيما المعنيين بالتحقيق والحكم على الروايات على ضرورة وعي واقع قضية مهمّة ومبدأ أساسي هو العمدةُ عند تصحيح روايةٍ أو تضعيفها.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة كالآتي :

المطلب الأول : مفهوم التعنت لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني :الأسباب التي تحمل نقّاد المحدّثين على التعنّت.

المطلب الثالث :معيار التعنُّت في حقِّ نقّاد المحدّثين.

المطلب الرابع :آثار التعنّت في واقع علم الجرح والتعديل.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

وأخيرا أودُّ الإشارة إلى أنَّ هذا اللون من الدّراسات ليس مقصده تتبع عورات أئمة النقد من علماء الحديث – رحمهم الله جميعا- بل غايته بحث علمي بَحتٌ ؛ فهذه الدراسة تعالج ظاهرة برزت في أوساط نقّاد المحدثين لا يمكن غضُّ الطرف عنها وتحاول بكل تواضع تجلية مسائلها بكل أمانةٍ وموضوعية على نحو يحدد لنا طبيعة هذه الظاهرة أعني ظاهرة التعنت وأسبابها ومعيارها وحجمها في وسط النقد الحديثي وأثرها في واقع علم الجرح والتعديل إيجابا وسلبا.

وفي ختام هذه التَّقدمةِ أرجو أنْ أكونَ قدْ بلغتُ في هذه الدراسة الغاية المنشودة والفائدة العلمية المقصودة، واللهَ أسألُ أنْ يجعلَ هذا الجُهدَ في ميزانِ الحسناتِ آخرة ودنيا، إنه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه والله الهادي إلى سواء السبيل .

المطلب الأول: مفهوم التعنّت لغة واصطلاحا.

أولا :التعنّت لغة .

التعنّت لغة مأخوذ من الجذر (عَنَتَ) والعنَتُ يعني : دُخُولُ الـمَشَقَّةِ على الإنسان، ولقاءُ الشدَّةِ؛ يقال: أَعْنَتَ فلانٌ فلاناً إِعْناتاً إذا أَدْخَل عليه عَنَتاً أي مَشقَّةً. قال ابن الأَثير: العَنَتُ الـمَشَقَّةُ؛ والفساد، والهلاكُ، والإِثم، والغَلَطُ، والـخَطَأُ، والزنا. كلُّ ذلك قد جاء، وأُطْلِقَ العَنَتُ عليه، وأَعْنَتَه و تَعَنَّته تَعَنُّتاً: سأَله عن شيء أَراد به اللَّبْسَ عليه والـمَشَقَّةَ. قال ابن الأَنباري: أَصلُ التَّعَنُّتِ التشديد، فإِذا قالت العربُ: فلان يتعَنَّتُ فلاناً و يُعْنِتُه، فمرادهم يُشَدِّدُ عليه، ويُلزِمُه بما يَصعُب عليه أَداؤُه؛ قال: ثم نُقِلَتْ إِلى معنى الهلاك، والأَصل ما وَصَفْنا "[1]. وقال الأزهري في تهذيب اللغة : " قال الله – عزّ وجلّ – : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ﴾ [النساء:٢٥]. نزلت الآية فيمن لم يستطع طَوْلا أي: فَضْل مالٍ ينكح به حرة، فله أن ينكح أمة، ثم قال: ذلك لمن خشي العَنَت منكم. وهذا يوجب أنَّ من لم يخش العَنت ووجد طَوْلا لحُرَّة أنه لايحلّ له أن ينكح أمة. واختلف الناس في تفسير العَنَت. فقال بعضهم: معناه: ذلك لمن خاف أن يحمله شدّة الشَّبق والغُلْمة على الزنا فيلقى العذاب العظيم في الآخرة، والحَدَّ في الدنيا. وقال بعضهم: معناه: أن يعشق أمَة، وليس في الآية ذكر عشق، ولكنَّ ذَا العشق يلقى عَنَتا. وقال أبو العباس محمد بن يزيد الثُمالِيّ: العّنت ههنا: الهلاك. وأخبرني المنذريّ عن الجَوْر والإثم والأذى. قال: فقلت له: آلتعُّنت من هذا ؟ قال: نعم، يقال: تعنت فلان فلاناً إذا أدخل عليه الأذى. وقال أبو إسحاق الزجَّاج: العَنَت في اللغة: المَشَقَّة الشديدة؛ يقال: أكمة عَنُوت إذا كانت شاقَّة المَصْعَد. قلت:(يعني: الأزهري): وهذا الذي قاله أبو إسحاق صحيح. فإذا شَقَّ على الرجل العُزْبة وغلبته الغُلْمة و لم يجد ما يتزوج بحُرة فله أن ينكح أمَة؛ لأن غلبة الشهوة واجتماع الماء في " صُلْب الرجل " ربما أدّى إلى العِلَّة الصعبة، والله أعلم.

وقول الله – عزّ وجلّ –: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٠] معناه: ولو شاء الله لشدَّد عليكم وتعبَّدكم بما يصعب عليكم أداؤه؛ كما فعل بمَن كان قبلكم. وقد يوضع العَنَت موضع الهلاك، فيجوز أن يكون معناه: لو شاء الله لأعنتكم أي: أهلككم بحكم يكون فيه غير ظالم.

---

[1] انظر : محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ،٢/ ٦١ (مادة : عَنَتَ) ، (١٩٩٠م).

المبارك بن محمد بن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٠٦(١٩٧٩م).

وقول الله – عزّ وجلَّ – : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [البقرة:١٢٨] معناه: عزيز عليه عَنَتُكم، وهو لقاء الشدة والمشقَّة. وقال بعضهم: معناه: عزيز عليه أي: شديد ما أعنتكم أي: ما أوردكم العَنَت والمَشَّقة. وقوله – عزّ وجلَّ–: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ [الحجرات:٧] أي: لو أطاع مثل المُخْبر الذي أخبره بما لا أصل له – وكان سُعي بقوم من العرب إلى النبي ﷺ أنهم أرتدّوا – لوقعتم في عَنَتٍ أي: فساد وهلاك. "[٢].

ثانيا :التعنّت اصطلاحًا.

وأمّا التعنت اصطلاحا فيمكننا تعريفهُ بأنه: مبالغةُ النّاقد في طعنِ راوٍ مقبول.

وعند النظر في العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للتعنّت يتبين لي أنَّ الصلة ظاهرة من حيث إنَّ أصل التعنت كما قاله ابن الأنباري هو: التشدد فالناقد المتعنت هو المتشدد وحين يتشدد فإنه يهلك الراوي بتضعيفه فلا يجعل حينئذ لروايته وزنا ولا قيمة ترتجى.

[٢] محمد بن أحمد الأزهري ، تهذيب اللغة ١٦٢/٢و١٦٣ باب العين والتاء مع النون (٢٠٠١م).

المطلب الثاني: الأسباب التي تحملُ نقّاد المحدثين على التعنت.

بعد التأمّل في النماذج المتوافرة لدينا في كتب الجرح والتعديل حول التعنت يتضح لي أنَّ الناقد حين يتعنّت متشددا بتضعيفه راوياً من الرواة يكون مردّ تعنته راجعا إلى أسباب نفسية أوعلمية أو دينية أو تعصب وفيما يأتي تبيان هذه الأسباب بالتفصيل :

أ- الأسباب النفسية.

إنَّ الناقد أولا وأخيرا بشر ليس بمعصوم من الخطأ وشأنه شأن أيُّ إنسان تكتنف حياته ظروف قاهرة تنعكس على نفسيته وطباعه فتجعله شديدًا صَعْبَ المِراس فيرتدُّ ذلك على أحكام الناقد فتجده يجازف في الحكم على الرواة بفعل ما هو مختزن في نفسيته، ومن تلكم الأسباب التي تؤثر في نفسية الناقد فتحمله على التعنُّت ما يأتي:-

١- أنْ تزجّه الظروف في صراعات طاحنة مع الفرق والمذاهب فيكيدُ له الخصوم صنوف الكيد والعداء ويسعون لطرده وقتله ؛ فلا شكّ أنّ ظروفا مثل هذه من شأنها أن تنعكس على طباع الناقد المحدّث فتجبله على الشدّة والقسوة في الحكم على الرواة ، ومن أئمة النقد الذين وقعوا ضحية مثل هذه الظروف الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ) قال الذهبي : قال أبو إسماعيل الأنصاري(يعني: الهروي) سمعت يحيى ابن عمار الواعظ وقد سألته عن ابن حبان؟ فقال : نحن أخرجناه من سِجستان كان له علم كثير و لم يكن له كبير دِين ، قَدِمَ علينا فأنكر الحدَّ لله فأخرجناه ".

قلت: (أي: الذهبي) إنكاركم عليه بدعةٌ أيضا والخوضُ في ذلك ممّا لم يأذن به الله ولا أتى نصٌ بإثبات ذلك ولا بنفيه ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ،وتعالى الله أن يُحد أو يوصف إلا بما وصف به نفسه أو علَّمَهُ رُسُلَه بالمعنى الذي أراد بلا مثل ولا كيف: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] "[٣].

---

[٣] محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٦/٩٧و٩٨ (١٩٩٣م).

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ تعليقا على هذه الحادثة : "كلاهما مخطىء ؛ إذ لم يأت نص بإثبات الحد ولا بنفيه ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " .

محمد بن أحمد الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٢١ (دون تاريخ).

هذا وممّا يدلُّ على تشدّد ابن حبّان تلك النعوتُ التي كان يصفه بها الحافظ الذهبي – والتي فيها شيء من القسوة عليه – ومن ذلك قول الذهبي في ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي(ت ٢٠٣هـ) : " وأما ابن حبان فإنه يُقعقع كعادته فقال فيه: يروي عن قوم ضعاف أشياء يدلسها عن الثقات حتى إذا سمعها الْمُستمع لَمْ يشكَّ في وضعها فلما كثر ذلك في أخباره ألزقت به تلك الموضوعات وحمل الناس عليه في الجرح فلا يجوز عندي الاحتجاج بروايته كلها بحال"[٤]. وقال في ترجمة سويد بن عمرو الكَلبي (ت ٢٠٣هـ): " وأما ابن حبان فأسرفَ واجترأ فقال: كان يقلب الأسانيد ويضع على الأسانيد الصحاح المتون الواهية "[٥] ، وعلّق في ترجمة محمد بن الفضل السدوسي (الملقب بعَارم) (ت ٢١٤هـ) فقال : " قال الدارقطني: تغيَّر بآخرة وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر وهو ثقة قلت: (أي: الذهبي) :فهذا قول حافظ العصر الذي لم يأت بعد النسائي مثله فأينَ هذا القول من قول ابن حبان الخسَّاف المتهور في عارم ؟!! – فقال

وقال في التذكرة ٣/٩٢١و٩٢٢ : " قال أبو إسماعيل (يعني : الهروي) سمعت عبد الصمد بن محمد بن محمد سمعت أبي يقول: أنكروا على ابن حبان قوله النبوة العلم والعمل فحكموا عليه بالزندقة وهُجر وكتب فيه إلى الخليفة فكتب بقتله ".

قلت : (أي الذهبي) وهذا أيضا له محمل حسن و لم يرد حصر المبتدأ في الخبر ومثله الحج عرفة فمعلوم أن الرجل لا يصير حاجا بمجرد الوقوف بعرفة وإنما ذكر مهم الحج ومهم النبوة إذ أكمل صفات النبي العلم والعمل ولا يكون أحد نبيا إلا أن يكون عالما عاملا، نعم النبوة موهبة من الله تعالى لمن اصطفاه من أولي العلم والعمل لا حيلة للبشر في اكتسابها أبدا وبها يتولد العلم النافع والعمل الصالح، ولا ريب أن إطلاق ما نقل عن أبي حاتم لا يسوغ وذلك نفس فلسفي " .

وقال في السير ١٦/٩٦و٩٧ : " هذه حكاية غريبة وابن حبان من كبار الأئمة ولسنا ندعي فيه العصمة من الخطأ لكن هذه الكلمة التي أطلقها قد يطلقها المسلم ويطلقها الزنديق الفيلسوف؛ فإطلاق المسلم لها لا ينبغي لكن يعتذر عنه فنقول: لم يرد حصر المبتدأ في الخبر ونظير ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : الحج عرفة ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجا بل بقي عليه فروض وواجبات وإنما ذكر مهم الحج وكذا هذا ذكر مهم النبوة إذ مِنْ أكمل صفات النبي كمال العلم والعمل فلا يكون أحد نبيا إلا بوجودهما وليس كل من برز فيهما نبيا ؛لأنَّ النبوة موهبة من الحق تعالى لا حيلة للعبد في اكتسابها بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح ، وأما الفيلسوف فيقول : النبوة مكتسبة ينتجها العلم والعمل فهذا كفر ولا يريده أبو حاتم أصلا وحاشاه وإن كان في تقاسيمه (يعني صحيحه المسمى التقاسيم والأنواع) من الأقوال والتأويلات البعيدة والأحاديث المنكرة عجائب وقد اعترف أن صحيحه لا يقدر على الكشف منه إلا من حفظه كمن عنده مصحف لا يقدر على موضع آية يريدها منه إلا من يحفظه ".

[٤] محمد بن أحمد الذهبي ، ميزان الاعتدال ٥/٥٩ (١٩٩٥م).

قال ابن حبان في المجروحين : " كان مُعلّما يروي عن أقوام ضعاف أشياء يدلسها عن الثقات حتى إذا سمعها المستمع لم يشك في وضعها فلما كثر ذلك في أخباره ألزقت به تلك الموضوعات وحمل عليه الناس في الجرح فلا يجوز عندي الاحتجاج بروايته كلها على حالة من الأحوال لما غلب عليها من المناكير عن المشاهير ".

ابن حبان ، المجروحين ٢/٩٧ (١٩٧٦م).

[٥] الذهبي ، ميزان الاعتدال٣/٣٥٠ .وانظر أيضا :٣/٣٤٥و٤/٢٨٠.

قال ابن حبان عقبَ الكلام الذي نقله عنه الإمام الذهبي : " لا يجوز الاحتجاج به بحال ".

ابن حبان ، المجروحين ١/٣٥١.

اختلط في آخر عمره وتغير حتى كان لا يدري ما يحدث به فوقع في حديثه المناكير الكثيرة فيجب التنكب عن حديثه فيما رواه المتأخرون فإذا لم يعلم هذا من هذا ترك الكل ولا يحتج بشيء منها . قلت (أي: الذهبي): و لم يقدِر ابن حبان أن يسوق له حديثا منكرًا فأين ما زعم ؟!! "[٦].

وقال الذهبي في ترجمة أفلح بن سعيد القبائي(ت ١٥٦هـ) : " قال ابن حبان: يروي عن الثقات الموضوعات لا يَحِلُّ الاحتجاج به ولا الرواية عنه بحال. قلت(أي الذهبي) : ابن حبان ربما قصَّب الثقة (أي :عابه وطعن فيه) حتى كأنه لا يدري ما يخرجُ من رأسه "[٧].

هذا وإنَّ أفلح هذا قد غفل ابن حبّان – رحمه الله- فيه؛ فأورده في الثقات قال : " أفلح بن سعيد الأنصاري من أهل قُبا يروي عن عبد الله بن رافع روى عنه زيد بن الحُباب "[٨].

ولكي نعلم جيدا أنَّ ابن حبان لم يكن متعنتا أوّل أمره وأنه كان واسع الصدر فلننظر إلى هذه القصة مع شيخه ابن خزيمة ؛ فقد أخرج ياقوت الحموي بسنده قال : " أخبرني القاضي أبو القاسم الحرستاني في كتابه قال: أخبرني وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الريح إذنا سمعت الحسن بن أحمد الحافظ سمعت أبا بشر النيسابوري يقول: سمعت أبا سعيد الإدريسي يقول: سمعت أبا حامد أحمد ابن محمد بن سعيد النيسابوري الرجل الصالح بسمرقند يقول: كُنَّا مع أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة في بعض الطريق من نيسابور وكان معنا أبو حاتم البُستي (يعني: ابن حبان) وكان يسأله ويؤذيه فقال له محمد ابن إسحاق بن خزيمة: يا بارد تنحَّ عني لا تؤذيني أو كلمة نحوها فكتب أبو حاتم مقالته فقيل له: تكتب هذا ؟!! فقال: نعم أكتب كلَّ شيء يقوله "[٩].

٢- حَنق الناقد وكَمَدُه لتغير أحوالِ عيشهِ من رغدٍ إلى شدّة ؛ فذلك سبب رئيس يقلب طباع المحدّث الناقد فيصيره شديدًا صعبا قاسيا في أحكامه، مجازفا بها حدا غير مرضي، فهو بشر غير

---

[٦] الذهبي ، ميزان الاعتدال ٢٩٨/٦.

قال ابن حبان : " اختلط في آخر عمره وتغير حتى كان لا يدري ما يحدث به فوقع المناكير الكثرة في روايته فما روى عنه القدماء قبل اختلاطه إذا علم أن سماعهم عنه كان قبل تغيره فإن احتج به محتج بعد العلم بما ذكرت أرجو أن لا يجرح في فعله ذلك وأما رواية المتأخرين عنه فيجب التنكب عنها على الأحوال وإذا لم يعلم التمييز بين سماع المتقدمين والمتأخرين منه يترك الكل ولا يحتج بشيء منه هذا حكم كل من تغير آخر عمره واختلط إذا كان قبل الاختلاط صدوقا ".

ابن حبان ، المجروحين ٢٩٤/٢و٢٩٥.

[٧] الذهبي ، ميزان الاعتدال ٤٤١/١.قال ابن حبان : " يروي عن الثقات الموضوعات، وعن الأثبات الملزوقات، لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه بحال ". ابن حبان ، المجروحين ١٧٦/١.

[٨] محمد بن حبان ، الثقات ١٣٤/٨(١٩٧٥م).

[٩] ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ٤١٨/١و٤١٩ (دون تاريخ).

معصوم، ومن هؤلاء الإمام النقاد علي بن أحمد المشهور بابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) صاحب كتاب المُحلّى بالآثار في الفقه الظاهري ؛ فابن حزم كان من أسرة ثرية ذات سلطان وجاه وقُربٍ من بلاط قصر الإمارة بالأندلس وكان وزيرًا، وكان ذا إحساسٍ مرهفٍ وهو صاحب الكتاب الشهير الموسوم بـ: "طوق الحمامة "، غير أنَّ الزمان قلبَ له ظهر المِجنِّ قال الذهبي في ترجمته : " نشأ في تنعم ورفاهية ورزق ذكاء مُفرطا وذهنا سيالا وكتبا نفيسة كثيرة وكان والده من كُبراء أهل قرطبة تولى الوزارة في الدولة العامرية وكذلك، وزِّرَ أبو محمد في شبيبته وكان قد مَهَرَ أولا في الأدب والأخبار والشعر وفي المنطق وأجزاء الفلسفة فأثرت فيه تأثيرا ليته سلم من ذلك ولقد وقفت له على تأليف يحضُّ فيه على الاعتناء بالمنطق ويقدمه على العلوم فتألمت له فإنه رأس في علوم الإسلام متبحر في النقل عديم النظير على يبس فيه وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول ... وصنف في ذلك كُتبا كثيرة وناظر عليها وبَسط لسانه وقلمه و لم يتأدب مع الأئمة في الخطاب بل فجَّج العبارة وسَبَّ وجَدَع فكان جزاؤه من جنس فعله بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ونفروا منها وأحرقت في وقت واعتنى بها آخرون من العلماء وفتشوها انتقادا واستفادة وأخذا ومؤاخذة ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجا في الرُّصَف بالخرز المهين ؛ فتارة يطربون ومرة يعجبون ومن تفرده يَهزؤون وفي الجملة فالكمال عزيز وكل أحد يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ "[١٠].

٣- **الجِبلّةُ التي ينشأ عليها الناقدُ** ؛ فتكوينُ شخصيَّةِ الناقد وطبيعتُهُ التي ركَّبها الله – تعالى- فيه قد يكون لها أثر في أحكامه على الرواة ؛ ومِنْ هؤلاء : الإمام يحيى بن سعيد بن فرّوخ القطّان (ت ١٩٨هـ) حكى الذهبي قال : " قال أحمد بن محمد بن يحيى القطان : لم يكُن جدّي يمزح ولا يضحك إلا تبسما " وزاد المزي في تهذيب الكمال عن أحمد بن محمد بن يحيى القطان: " ما أعْلمُ أني رأيته قهقه قطُّ "[١١]. قال الذهبي : " كان يحيى بن سعيد متعنتا في نقد

---

[١٠] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٦و١٨٧.

قلتُ : إنَّ من الأمثلة على تعنّتِ ابن حزم – غفر الله له – تضعيفه راشد بن سعد الحبراني ويقال المقرائي مُحدّث حمص قال الذهبي في السير ٤/٤٩٠ : " وثقه غير واحد منهم ابن معين وأبو حاتم وابن سعد ، وقال أحمد بن حنبل : لا بأس به ، وقال ابن حزم وحده: هو ضعيف؛ فهذا من أقواله المردودة ، وقد قال الدارقطني :لا بأس به يعتبر به ".

وكذا تعنّتَ في تضعيفه عَمارة بن غزيّة بن الحارث بن عمرو بن غزيَّة الأنصاري البخاري المازني المدني. قال الذهبي ٦/١٣٩: أحد الثقات .. قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث. واحتج به مسلم واستشهد به البخاري وأما ابن حزم فضعفه و لم يصب ".

[١١] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٩/١٧٩.

يوسف بن عبد الرحمن المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣١/٣٤٠ (١٩٨٠).

الرجال فإذا رأيته قد وثق شيخا فاعتمد عليه أمَّا إذا ليَّن أحدا فتأن في أمره حتى ترى قول غيره فيه فقد ليَّن مثل إسرائيل وهمام وجماعة احتج بهم الشيخان وله كتاب في الضعفاء لم أَقفْ عليه ينقُلُ منه ابن حزم وغيرُه ويقع كلامه في سؤالات علي وأبي حفص الصَّيرفي وابن معين له "[١٢].

أخرج الخطيب بسنده عن علي ابن المديني أنّه قال : " إذا اجتمع يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي على ترْكِ رَجُلٍ لم أحدِّث عنه فإذا اختلفا أخذتُ بقول عبد الرحمن ؛ لأنه أقصَدُهما وكان في يحيى تشدُّد "[١٣] ، وقال الذهبي في ترجمة إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي : مشى علي (يعني : ابن المديني) خلف أستاذه يحيى بن سعيد وقفَّى أثرهما أبو محمد ابن حزم وقال: ضعيف وعَمِد إلى أحاديثه التي في الصحيحين فردها و لم يحتج بها فلا يلتفت إلى ذلك ، بل هو ثقة. نعم ليس هو في التثبت كسفيان وشعبة ولعله يقاربهما في حديث جدِّه ؛ فإنه لازمه صباحا ومساء عشرة أعوام وكان عبد الرحمن بن مهدي يروي عنه ويقويه و لم يصنع يحيى ابن سعيد شيئا في تركه الرواية عنه "[١٤]. وقال الذهبي في ترجمة حبيب المُعلِّم : " حجَّة تعنَّت يحيى بن سعيد فكان لا يُحدِّث عنه ؛ حَدِيثهُ في الكتب كُلِّها وحسين المُعلّم أثبت منه "[١٥]. وفي موضع آخر يقدِّر الإمام الذهبي كلام يحيى القطّان في الرجل برغم وصفه له بالمتعنّت أدبا وإجلالاً للقطّان، ففي ترجمة حرب ابن شدّاد قال : " وثقه أحمد بن حنبل وغيره وقال الفلاس : كان يحيى بن سعيد لا يُحدِّث عنه . قلت (أي الذهبي): هذا من تعنِّتِ يحيى في الرجال وله اجتهادهُ فلقد كانَ حجة في نقد الرواة "[١٦].

٤- **الاعتدادُ الزائدُ بالنفسِ من لدن النّاقد** ؛ فتجدُ الناقد يكتفي برأيهِ وحسب في الحُكمِ على الرَّاوي دُونَ أن ينظُر في حكم أئمة النقد الآخرين ، ومِن هؤلاء أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧هـ) ولهذا تراه يُجَهّل كثيرًا من الرواة حين يُسأل عنهم وهُم في الحقيقة معروفون عندَ غيره ، قال الذهبي في ترجمة يحيى بن عبد الله بن بُكير المِصْرِيِّ : " روى عنه البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم وخلق كثير. وروى مسلم عن رجل عنه، وكان من أوعية العلم مع الصدق والأمانة.قال أبو حاتم: كان لا يفهم هذا الشأن، يكتب حديثه ولا يحتج به.

---

[١٢] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٨٣/٩.

[١٣] أحمد بن علي الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٤٣/١٠ (دون تاريخ).

[١٤] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٥٨/٧.

[١٥] محمد بن أحمد الذهبي ، الرواة الثقات المُتكَلّم فيهم بما لا يوجبُ ردّا ٧٩ (١٩٩٢م).

[١٦] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٩٤/٧.

قلت (أي: الذهبي): قد عُلم تعنُّتُ أبي حاتم في الرجال، وإلا فالشيخان قد احتجا به، نعم .وقال النسائي: ضعيف.وأسرف بحيث إنه قال في وقت آخر: ليسَ بثقة وأين مثل ابن بكير في إمامتهِ وبَصَرِه بالفتوى وغزارةِ عِلْمِه ؟! "[١٧]. وفي ترجمة عبّاد بن عبّادِ بن حبيب بن الأمير المُهلّب ابن أبي صُفرة البصري قال الذهبي : " كان شريفا نبيلا حجة من عقلاء الأشراف وعلمائهم تعنت أبو حاتم كعادته وقال: لا يحتج به وقال ابن سعد: لم يكن بالقوي في الحديث.

قلت (أي: الذهبي): قد احتج أربابُ الصِّحاحِ به وقال فيه يحيى بن معين: ثقة وقال: هو أوثق و أكثر من عبَّاد بن العَوَّام وقال ابن سعد أيضا: ثقة ربما غلط "[١٨]. ويُلاحظ أنّ عبارتي الذهبي " تعنَّتَ أبو حاتم كعادته "وقبلها عبارة " قد عُلم تعنُّتُ أبي حاتم في الرجال " تُشعران بأنّ التعنت طبع مطّرد فيه ، ويظهر لي اعتداده بنفسه من مخالفته لأئمة النقد مثل الشيخين وأبي زرعة، ولهذا قال الذهبي في آخر ترجمة أبي حاتم : "إذا وثق أبو حاتم رجلا فتمسك بقوله فإنه لا يوثق إلا رجلا صحيح الحديث ، وإذا لين رجلا أو قال فيه لا يحتج به فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه فإن وثقه أحد فلا تبنِ على تجريح أبي حاتم فإنه متعنت في الرجال قد قال في طائفة من رجال الصحاح ليس بحجة ليس بقوي أو نحو ذلك ". هذا وإنَّ ممّا يدلّ على وضوح الاعتداد بالنفس في شخص أبي حاتم – رحمه الله- قوله فيما حكاه ابنه عنه في ترجمته له – معتدا بأنه أغرب على محمد بن يحيى الذهلي بعشرة أحاديث من حديث الزهري مع كون الذهلي أعلم الناس بحديث الزهري : " قدم محمد بن يحيى النيسابوري الري، فألقيت عليه ثلاثة عشر حديثا، من حديث الزهري، فلم يعرف منها إلا ثلاثة أحاديث، وسائر ذلك لم تكن عنده،ولم يعرفها "[١٩] ، وأما

---

[١٧] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٤٢٠/٢.

قال ابن أبي حاتم : " سألت أبي عنه فقال: يُكتب حديثه ولا يحتج به كان يفهم هذا الشأن ".

عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ١٦٥/٩ (١٩٥١م).

[١٨] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٩٥/٨.

قال ابن أبي حاتم : " سألت أبي- رحمه الله – عن عباد بن عباد المهلبي فقال : صدوق لا بأس به قيل له يحتج بحديثه قال : لا ".

ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٨٢/٦.

قال ابن سعد : " عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي من الأزد ويكنى أبا معاوية وكان معروفا بالطب حسن الهيئة و لم يكن بالقوي في الحديث " وقال في موضع آخر : " عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي ويُكنى أبا معاوية وكان ثقة وربما غلط ".

انظر : محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ،٢٩٠/٧ (دون تاريخ).وانظر أيضا :٣٢٧/٧.

[١٩] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٦٠/١٣.

ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٣٥٨/١.

تضعيف ابن سعد لعبّاد بن عبّاد ولغيره من رواة العراق فسيأتي في موضعه أنَّ ابن سعد يقلد أستاذه الواقدي في ذلك ؛ إذ هو على طريقة أهل المدينة في الانحراف على أهل العراق وعبّاد هذا بصريٌّ.

٥- **غيرَة الأقران** ؛ فإنها تحمل أحدهم على الطعن في بعضِ أقرانه ، ففي ترجمة عمرو بن عاصم الكلابي (ت ٢١٣هـ) قال الذهبي : " عمرو بن عاصم الكلابي ثقة مشهور مُحْتجٌ به في الكتب الستة ، قال بَنْدَار (هو : محمد بن بشار (ت ٢٥٢هـ)): لولا فَرَقِي (يعني:خوفي) من أهله لتركْتُ حديثه "[٢٠].

قال الذهبي بنبرة المعاتب تعليقا على مقولة بندار – رحمه الله : " وكذا قالَ فيكَ يا بَنْدَار أبو داود قال: لولا سلامةٌ في بندار لترَكْتُ حديثهُ "[٢١]. ومن أمثلة التعنّت بسبب غَيرة الأقران كلام أمير المؤمنين في حديث شعبة بن الحجّاج (ت ١٦٠هـ) سرّا في خالد بن مِهران الحذّاء (ت ١٤١هـ) قال الذهبي : " روي من طريق يحيى بن آدم حدثنا أبو شهاب قال لي شعبة : عليك بحجاج بن أرطاة وابن إسحاق فإنهما حافظان واكتم عليَّ عند البصريين في هشام (يعني :ابن عروة) وخالد (يعني: الحذّاء) قلت (أي: الذهبي): ما التفت أحدٌ إلى هذا القول أبدا ، وقال عبَّاد بن عباد : أرادَ شعبة أن يضع من خالد الحذاء فأتيت أنا وحماد بن زيد فقلنا له : مالكَ أجننت ؟ أنت أعلم. وتهَدَّدناه فأمسك "[٢٢].

وقال الذهبي في السِّير تعليقا على صنيع شعبة : " هذا الاجتهاد من شعبة مردود لا يُلتفت إليه بل خالد وهشام محتج بهما في الصحيحين هما أوثق بكثير من حجاج وابن إسحاق بل ضعفُ هذين ظاهر ولمْ يُتركا ، ولم يكن خالد حذّاء بل كان يجلس في سوق الحذائين أحيانا فعرف بذلك قاله محمد بن سعد وقال فهدُ بن حيان: لم يحذ خالد قطُّ وإنما كان يقول أُحذ على هذا النحو فلقِّب الحذاء وكان حافظا مَهيبًا ليس له كتاب قال شعبة: قال خالد الحذاء: ما كتبت شيئا قط إلا حديثا

---

[٢٠] الذهبي ، الرواة الثقات المُتكَلّم فيهم بما لا يوجبُ ردّا ١٤٦.

وانظر في معنى (فرقي) : ابن منظور ، لسان العرب ٣٠٤/١٠ مادة (فَرَقَ).

[٢١] الذهبي ، ميزان الاعتدال ٣٢٦/٥.

قال الآجرّي : سمعت أبا داود يقول: " كتبت عن بندار نحو خمسين ألف حديث وكتبت عن أبي موسى شيئا وهو أثبتُ من بندار ثم قال (أي أبو داود) : لولا سلامة في بندار لترك حديثه " .

سليمان بن الأشعث أبو داود ، سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود ٣٦٨ (١٩٧٩م).

[٢٢] الذهبي ، ميزان الاعتدال ٤٢٨/٢.

طويلا فلما حفظته محوته وقال خالد الطحَّان: سمعت خالد الحذاء يقول : ما حذوت نعلا ولا بعتها ولكن تزوجت امرأة من بني مُجَاشع فنزلتُ عليها في الحذائين هناك فنُسبت إليهم "[٢٣].

هذا وقد تعنّتَ أبو حاتم في خالد الحذَّاء فذهب إلى عَدَمِ الاحتجاج بحديثه ، قال الذهبي في المُغني :" خالد بن مِهران الحذاء ثقة جبل والعَجَبُ مِن أبي حاتم يقول: لا أحتجُّ بحديثه " وقال الحافظ ابن حجر في فصل عقده لبيان من ينبغي أنْ يُتوقَّف في قبولِ قوله في الجرح: " ويلتحق بذلك ما يكونُ سببه المنافسةُ في المراتب فكثيرا ما يقع بين العَصْريين الاختلاف والتباين لهذا وغيره ؛ فكل هذا ينبغي أن يتأنى فيه ويُتأمَّل وما أحسن ما قال الامام أبو الفتح القشيري : أغراض الناس حفرة من حفر النار وقفَ على شفيرها طائفتان؛ الحكام والمحدثون هذا أو معناه "[٢٤].

ب–الأسباب التي باعثها منهجية الناقد في التعامل مع الراوي؛ فهناك من النقّاد من يضع شروطا للراوي وتلك الشروط في واقع الأمر بينة التكلّف والتعنّتُ؛ إذْ لَمْ يَسِرْ عليها جمهور أئمة الشأنِ ومن ذلك:

١- **تضعيف الراوي بدعوى أنه لم ينصَّ أحد من الأئمة على عدالته** . ومِمَّن وقع في التعنّت بسبب هذا الشرط المتكلّف الإمام أبو الحسن ابن القطَّان الفاسي (ت ٦٢٨هـ) قال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن القطّان : " علّقْتُ مِنْ تأليفهِ كتاب الوهم والإيهام فوائدَ تدلُّ على قوة ذكائه وسَيلان ذهنه وبصره بالعلل لكنه تعنَّتَ في أماكن وليَّن هشامَ بن عروة وسهيل بن أبي صالح ونحوهما "[٢٥]. قال الإمام الحسيني صاحب الإكمال في ترجمة مالك بن خير الزِّيادي المصري : " قال ابن القطَّان هو ممَّن لم تثبت عدالته.يعني (القائل :الحسيني):أنه ما نص أحد على توثيقه فهذا تعنت زائد "[٢٦].

---

[٢٣] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٩١/٦و١٩٢.

وانظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٥٩/٧.

[٢٤] محمد بن أحمد الذهبي ، المغني في الضعفاء ٢٠٦ (دون تاريخ).

قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول :خالد الحذاء يكتب حديثه ولا يحتج به "

ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٣٥٢/٣.

ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر ، لسان الميزان ١٦/١ (١٩٨٦م).

[٢٥] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٠٧/٢٢.

[٢٦] محمد بن علي الحسيني ، الإكمال لرجال أحمد ٣٩٢ (١٩٨٩م).

هذا وقد ترجمَ الإمام البخاريُّ للزِّيادي في التاريخ الكبير[٢٧] وذكره الإمام ابن حبان في الثقات[٢٨] ، والحقيقة أنَّ الرجل ينبغي أن تحمل حاله على العدالة ؛ فأنْ لا ينصَّ أحد على عدالته لا يعني أنه ساقط بل ذلك إشارة إلى أنه مقبول الرواية وما أحسنَ وأدقَّ كلام ابن حبّان في هذه المسألة على تعنته في الجرح إذ يقول : " فمَن لم يُعْلَم بِجرح فهو عدل إذا لم يتبينُه ضدُّه؛ إذ لم يُكلَّف الناسُ من الناس معرفة ما غابَ عنهم وإنما كُلِّفوا الحكم بالظاهر من المَغيب عنهم "[٢٩].

٢- أن يَتوهمَ الراوي في حديثٍ فيُضَعَّفَ كليًا بسبب ذلك في عموم روايته؛ وهذا تعنّت بيِّن، فقد يُخطئ المرء في حديث أو اثنين أو أكثر مما لا يُخرجه عن دائرة القبول وليس البشر بمعصومين من ذلك ولا يَسلم من الوهم أحد ، ويرحم الله الضياء المقدسي إذ يقول : " ولو كان كلُّ مَن وَهِمَ في حديث واحد اتُهم لكانَ هذا لا يسلم منه أحدٌ "[٣٠].

ومن الأمثلةِ على هذا اللون من التعنّت ما ذكره الحاكم النّيسابوري في كتابه (معرفة علوم الحديث) قال : " وجَدْتُ أبا علي الحافظ (الحسين بن علي النيسابوري (ت ٣٤٩هـ)) سيءَ الرأي في أبي القاسم اللّخمي (يعني: الإمامَ الطبراني (ت ٣٦٠هـ)) فسألته عن السبب ؟ فقال اجتمعنا على باب أبي خليفة فذكرنا طُرُقَ : "أمرتُ أن أسجد على سبعة أعضاء" فقلت له: تحفظ عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة الزرَّاد عن طاوس عن ابن عباس؟ فقال: بلى غُنْدر وابن أبي عَدِي. فقلتُ: من عنهما ؟ فقال: حدثناه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عنهما فاهتمته إذ ذاك . ثم قال أبو علي: ما حدث عثمان بن عمر. (قال الحاكم): فحدثني أبو علي الحافظ قال: أخبرنا علي بن سَلم الأصبهاني قال: حدثنا صالح بن محمد بن يحيى بن سعيد قال: حدثنا عثمان بن عمر قال: حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس"[٣١].

قال الإمام الذهبي : هذا تعنّت على حافظ حجّة ، قال الحافظ ضياء الدين المقدسي :هذا وهم فيه الطبراني في المذاكرة فأمَّا في جَمْعه (يقصد: معجمه) حديث شعبة فلم يروه إلَّا من حديث عثمان ابن عمر ، ولو كان كلُّ مَن وَهِمَ في حديث واحد اتُهم لكانَ هذا لا يسلم منه أحد "[٣٢].

---

[٢٧] محمد بن إسماعيل البخاري ، التاريخ الكبير ٣١٢/٧(دون تاريخ).

[٢٨] ابن حبان ، الثقات ٣٨٥/٥.

[٢٩] ابن حبان ، الثقات ١٣/١.

[٣٠] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢٧/١٦.

[٣١] محمد بن عبد الله الحاكم ، معرفة علوم الحديث ١٤٣ (١٩٧٧م).

[٣٢] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢٧/١٦.

وتجدر الإشارةُ إلى أنني لم أقف على حديث عثمان بن عمر في معاجم الطبراني المعروفة ؛ فلعلَّ الطبراني له جمعٌ خاص في طرقِ هذا الحديث بعينه . هذا وما أدّقّ وأطيبَ كلام حافظ المغرب ابن عبد البر–رحمه الله– إذ يقول : " ... فالغلطُ لا يَسْلمُ منه أحد والكمال ليس لمخلوق وكلٌّ أحد يُؤخذُ من قوله ويترك إلاَّ النبي ﷺ "[٣٣].

٣– أنْ يشتهرَ الراوي بالفقه ويغلب عليه ذلك مع علمه بالحديث فيقلّلَ ذاكَ من شأنه في الحديث عند بعض النقّاد. ومن أمثلة ذلك قول أبي حاتم الرازي في أبي ثور الكلبي إبراهيم بن خالد الفقيه (ت ٢٤٠هـ): " أبو ثور رجل يتكلم بالرأي يخطىء ويصيب وليس محله محل المتسعين في الحديث قد كتبتُ عنه "[٣٤].

قال الإمام الذهبي في السير : " بل هو حجّة بلا تردد " وقال في الميزان : " وثقه النسائي والناس ، وأمَّا أبو حاتم فتعنت وقال: يتكلم بالرأي فيخطئ ويصيب ليس محله محلَّ المتسعين في الحديث. فهذا غلو من أبي حاتم سامحه الله " وقال في كتابه " الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجبُ ردّا : " وثقه الناس . تعنت أبو حاتم كعوائده وقال: ليس محلُّه محلَّ المتسعين في الحديث كان يتكلم بالرأي فيخطئ ويصيب قلت (يعني :الذهبي):هذا غلو من أبي حاتم غفر الله له ".

ومثل هذا صنيع الإمام العَجلي في حقِّ الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) إذ قال عنه : " هو ثقة صاحب رأي ليس عنده حديث " قال الذهبي تعليقا على هذا الكلام : " قد صنّف الخطيب الحافظ مسألة الاحتجاج بالشافعي فشفى وكفى فقول العَجلي ليس عنده حديث قولُ من لا يدري ما يقول في حق الإمام أبي عبد الله وما عرفه العَجلي ولا جالسه ؛ فالشافعي من جلّة أصحاب الحديث رحل فيه وكتب بمكة والمدينة والعراق واليمن ولقب ببغداد ناصر الحديث وهو قَلَّما يوجد له حديث غلط والله حسيبُ من يتكلم بجهل أو هوىً؛ فإنَّ السكوت يسع الشخص. نعمْ لم يَكُنِ الشافعي– رحمه الله – في الحديث كيحيى القطان أو ابن مهدي أو أحمد بن حنبل بلْ ما هو في الحديث بدون الأوزاعي ولا مالك وهو في الحديث ورجاله وعلله فوق أبي مُسْهر وأبي يوسف القاضي وعبد الرحمن ابن القاسم وإسحاق بن الفرات وأشهب وأمثالهم فرحم الله الجميع "[٣٥].

---

[٣٣] يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد ٣٦٦/١ (١٩٦٧م).

[٣٤] ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٩٧/٢.

[٣٥] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧٦/١٢. والذهبي ، ميزان الاعتدال ١٤٩/١.

وكذا أيضا الذهبي ، الرواة الثقات المُتكَلّم فيهم بما لا يوجبُ ردّا ٤١.

ج- الأسباب الدينية للتعنت .

هناكَ من النقّاد الأعلام من يتشدَّد ويتعنّتُ كثيرًا حين الأخذ عن الرواة من باب الورع والتقوى وخشيةَ أنْ ينسبَ إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله ؛ لا سيّما إذا كان الأمر متعلقا بالأحكام تحليلا وتحريما قال الخطيب البغدادي : " ينبغي للمحدث أن يتشدد في أحاديث الأحكام التي يفصل بها بين الحلال والحرام فلا يرويها إلا عن أهل المعرفة والحفظ وذوي الإتقان والضبط وأما الأحاديث التي تتعلق بفضائل الأعمال وما في معناها فيحتمل روايتها عن عامة الشيوخ "[٣٦].

ومن الأمثلةِ على ذلك ما كان عليهِ يحيى بن سعيد القطّان؛ فقد أخرج الخطيب بسنده إلى أبي بكر محمد ابن خلّاد الباهلي قال: أتيتُ يحيى مَرّةً فقال لي: أين كنتَ ؟ فقلتُ: كنت عندَ ابن داود فقال: إني لأشفق على يحيى من ترك هؤلاء الرجال الذين تركهم فبكى يحيى وقال : لأن يكون خصمي رجل من عَرَض الناس شككت فيه فتركته أحبَّ إليَّ من أن يكون خَصْمي النبي ﷺ ويقول : بلغك عني حديث سبق إلى قلبك أنه وَهْم فلمَ حدثت به ؟؟ "[٣٧].

ومن أمثلة ذلك ما روي عن الإمام يحيى بن معين ؛ حكى المزي قال : " قال هارون بن بشير الرازي: رأيتُ يحيى بن معين استقبل القبلة رافعا يديه يقول: اللهمَّ إنْ كنتُ تكلمت في رجل وليس هو عندي كذابا فلا تغفر لي "[٣٨]. وأخرج الخطيب بسنده إلى أبي بكر محمد بن مهرويه بن سنان الرَّازي يقول: سمعت علي بن الحسن بن الجنيد يقول: سمعت يحيى بن معين يقول : إنا لنطعنُ على أقوام لعلَّهم قد حطُّوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة . قال ابن مِهرويه فدخلت على عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل فحدَّثته بهذه الحكاية فبكى وارتعدتْ يداه حتى سقط الكتاب من يده وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية و لم يقرأ في ذلك المجلس شيئا أو كما قال "

وانظر كلام الإمام العجلي وتعليق الإمام الذهبي عليه : الرواة الثقات المُتكَلّم فيهم بما لا يوجبُ ردّا ٣٠-٣٣.

[٣٦] أحمد بن علي الخطيب ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ٩١/٢.

[٣٧] الخطيب ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ٩١/٢.

قال الحاكم : " سمعت أبا بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة القاضي يقول: سمعت القاضي يقول :سمعت أبا سعد يحيى بن منصور الهروي يذكر عن أبي بكر بن خلاد قال :قلت ليحيى بن سعيد: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تذكر حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة ؟ فقال : لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: لم حدثت عني حديثا ترى أنه كذب " .

الحاكم ، معرفة علوم الحديث ١١١/١١٠.

[٣٨] المزي ، تهذيب الكمال ٥٥٤/٣١.

قال الخطيب تعليقا على حكاية ابن معين : " كلامُ يحيى بن معين هذا فيه بيان أنَّ من عَلم مِن حال الرواة أمرا لا يجوز معه قبول روايتهم وجب عليه إظهاره ؛ لأن الحديث لا يكتفى في قبوله لمجرد الصَّلاح والعبادة كما لا يكتفى بذلك في قبول الشهادة "[٣٩].

وممّن كان حاله كذلك أمير المؤمنين شعبة بن الحجّاج (ت ١٦٠هـ) ؛ فقد أخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى إبراهيم بن سعيد الجوهري قال : حدثنا أبو قَطَن قال: سمعت شعبة يقول: ما شيء أخوف عندي من أن يدخلني النار من الحديث "[٤٠] وفي هذا الإطار يفهم قوله لعمران ابن حُدير (ت ١٤٩هـ) : " تعالَ حتى نغتاب ساعة في الله – عز وجل – نذكرُ مساوئ أصحاب الحديث "[٤١] وكذا نفهم أيضا قولته : " والله لو حدثتكم عن ثقة ما حدثتكم عن ثلاثة"[٤٢] وعلى باب الديانة والورع ينبغي أن يحمل تعنته في حقِّ بعض الثقات مثل أبي الزبير محمد بن مسلم المكي (ت ١٢٦هـ) ؛ أخرج العقيلي بسنده إلى أحمد بن سعيد الرّباطي قال: سمعتُ أبا داود الطيالسي يقول :قال شعبة: لم يكن في الدنيا شيء أحبَّ إليَّ من رجل يقدم من مكة فأسأله عن أبي الزبير فقدمتُ مكة فسمعت عن أبي الزبير فبينا أنا جالس عنده ذات يوم إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فردَّ عليه ، فافترى عليه. فقلت له: يا أبا الزبير تفتري على رجل مسلم؟ قال : إنه أغضبني قلتُ: مَنْ يُغضبكَ تفتري عليه ؟!! لا رويتُ عنك حديثا أبدا. قال وكان يقول(يعني شعبة): في صدري أربعمائة لأبي الزبير عن جابر والله لا أحدث عنه حديثا أبدا "[٤٣].

هذا ومِمَّن حالهُ التعنتُ بدعوى زيادة التثبّت جعفرُ بن محمد بن أبي عثمان أبو الفضل الطيالسي (ت ٢٨٢هـ) قال عنه الخطيب البغدادي:"كان ثقة ثبتا صعبَ الأخذ حسن الحفظ " وأخرج الخطيب بسنده إلى أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد قال سمعت جعفر بن أبي عثمان الطيالسي قال: سمعت يحيى بن معين يقول: لو أدركتَ أنتَ زيد بن الحباب وأبا أحمد الزبيري لم تكتب عنهم- يعني: في شدة أخذه عن الشيوخ – قلنا لجعفر لِمَ ؟ قال: إنما كانوا شيوخا "[٤٤].

قلتُ: إنَّ معنى قوله : "كانوا شيوخا " أي : هم في مرتبة متدنية مِن الوثاقة لا تشفي الغُلّة.

---

[٣٩] الخطيب ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ٢٠١/٢.

[٤٠] أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ١٥٦/٧ (١٩٨٥م).

[٤١] ابن حبان ، المجروحين ١٩/١.

[٤٢] ابن حبان ، المجروحين ٤٧/١.

[٤٣] محمد بن عمر العُقيلي ، الضعفاء الكبير ١٣١/٤ (١٩٨٤م).

[٤٤] الخطيب ، تاريخ بغداد ١٨٨/٧.

هـــ- التعنت بسبب التعصب لمذهبٍ أو الاختلاف في الاعتقاد .

قد يكونُ التعنتُ من لدن الناقد باعثه التعصُّبُ لمذهبه فيقدح في المخالف له لأجل ذلك ؛ وممّن صدر منه مثل هذا التعنّت الإمام الكبير يحيى بن معين – سامحه الله وغفر له – إذ تعنّت حين سئلَ عن الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـــ) فقال عنه : ليس بشيء ، حكى الذهبي قال : " قال ابن عبد البر : قد صَحَّ من طرق عن ابن معين أنه يتكلم في الشافعي .

قلتُ (يعني: الذهبي) : قد آذى ابن معين نفسه بذلك و لم يلتفتِ الناس إلى كلامه في الشافعي ولا إلى كلامه في جماعة من الأثبات كما لم يلتفتوا إلى توثيقه لبعض الناس فإنا نقبل قوله دائما في الجرح والتعديل ونقدمه على كثير من الحفاظ ما لم يخالف الجمهور في اجتهاده ، فإذا انفرد بتوثيق من ليَّنه الجمهور أو بتضعيف مَن وثقه الجمهور وقبلوه فالحكم لعموم أقوال الأئمة لا لِمَن شذَّ فإنَّ أبا زكريا من أحد أئمة هذا الشأن وكلامه كثير إلى الغاية في الرجال وغالبه صواب وجيد ، وقد ينفرد بالكلام في الرجل بعد الرجل فيلوح خطؤه في اجتهاده بما قلناه فإنه بشر من البشر وليس بمعصوم بل هو في نفسه يوثق الشيخ تارة ويضعفه تارةً أخرى؛ يختلف اجتهاده في الرجل الواحد فيجيب السائل بحسب ما اجتهد من القول في ذلك الوقت ، وكلامه- يعني ابن معين – في الشافعي ليس من هذا اللفظ الذي كانَ عن اجتهاد وإنما هذا من فلتات اللسان بالهوى والعصبية فإنَّ ابنَ معين كان من الحنفية الغُلاة في مذهبه وإنْ كان مُحَدِّثاً "[٤٥].

هذا وقد يكونُ تعنّتُ الناقدِ باعثهُ الاختلافُ في الاعتقادِ ، ومن ذلكَ صَنيعُ الإمامِ أبي إسحاقٍ الجُوزجانيِّ (ت ٢٥٩هـــ) في كتابه (أحوال الرجال) ، قال الحافظ ابن حجر في اللسان : " وممن ينبغي أن يتوقّف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد فإن الحاذق إذا تأمل ثَلْبَ أبي إسحاق الجُوزجاني لأهل الكوفة رأى العَجَب وذلك لشدة انحرافه في النَّصْب وشُهرة أهلها بالتشيع فتراه لا يتوقف في جَرْح من ذكره منهم بلسان ذلْقٍ وعبارة طلقة (مثل قوله : زائغ ساقط ، ومفترٍ وزائغ عن الحق ..) حتى إنه أخذ يُلين مثل الأعمش وأبي نُعيم وعبيد الله بن موسى وأساطين الحديث وأركان الرواية فهذا إذا عارضه مثله أو أكبر منه فوثق رجلا ضعفه قبل التوثيق ، ويلتحق به عبد الرحمن بن يوسف بن خِرَاش المحدث الحافظ

---

[٤٥] الذهبي ، الرواة الثقات المُتكَلّم فيهم بما لا يوجبُ ردّا ،٢٩و٣٠.

(ت ٢٨٣هـــ) ؛ فإنه من غلاة الشيعة بل نُسِبَ إلى الرفض فيُتأتّى في جرحه لأهل الشام للعداوة البيِّنة في الاعتقاد "[٤٦].

وقال ابن حبّان عن الْجُوزجاني في الثقات :" كان حريزيَّ المذهب و لم يكن بِداعيةٍ إليه وكان صلبا في السنة حافظا للحديث إلا أنه من صلابته ربما كان يتعدى طَوْرَهُ "[٤٧].

و- التعنّت في تضعيف راوٍ بدعوى كثرة روايته المناكير في تواليفه ؛ ومن ذلك ما قيل في حقِّ أحمد بن الحسين أبي زرعة الرّازي الصغير(ت ٣٧٥هـــ) ؛ قال الخطيب البغدادي : " كان حافظا متقنا ثقة رحَل في الحديث وسافر الكثير وجالس الحفاظ وجمع التراجم والأبواب "[٤٨] قال الإمام الذهبي : " صدوق ومن تكلَّم فيه تعنَّتَ بأنه يكثر من رواية المناكير في تواليفه "[٤٩] وقال في تذكرة الحفاظ : " له تصانيف كثيرة يروي فيها المناكير كغيره من الحفاظ ولا يبين حالها وذلك مما يُزري بالحافظ "[٥٠]. قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان : " ما عُرف مَن هو الذي تَكلم فيه "[٥١].

ز- التعنت بسبب ضيق أفق الناقد وضعف تصوّره ولذلك صورتان :

الأولى : تضعيف راو لمجرد صحبته لراو متكلّم فيه ؛ ومن أمثلة ذلك كلام الحاكم النيسابوري في محمد بن الفرج الأزرق (ت ٢٨٢هـــ) لمجرّد صحبته الحسين بن علي الكَرَابيسي (ت ٢٤٨هـــ)؛ فإنه كان يقول " لفظي بالقرآن مخلوق" قال الإمام الذهبي في الميزان في ترجمة الأزرق: " معروف وله جزء سمعناه يروي عن حجاج بن محمد وجماعة وهو صدوق تكلم فيه الحاكم لمجرد صحبته الحسين الكَرابيسي وهذا تعنت زائد مع أنه يروى عن الدارقطني أنه قال: لا بأس به فطَعن عليه في اعتقاده ،

---

[٤٦] ابن حجر ، لسان الميزان ١٦/١.

[٤٧] ابن حبان ، الثقات ٨١/٨و٨٢.= وقال ابن عدي في ترجمته :كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في الميل عن علي". قال الحافظ ابن حجر بعدما نقل كلام ابن عدي : "رأيت في نسخة من كتاب ابن حبان: حَريزي المذهب وهو بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وبعد الياء زاي النسبة إلى حريز بن عثمان المعروف بالنَّصب (قال ابن حجر):وكلام ابن عدي يؤيد هذا".
عبد الله بن عدي، الكامل في الضعفاء ٣١٠/١ (١٩٨٨م).
أحمد بن علي بن حجر ، تهذيب التهذيب ١٥٩/١ (١٩٨٤م).

[٤٨] الخطيب ، تاريخ بغداد ١٠٩/٤.

[٤٩] الذهبي ، ميزان الاعتدال ٢٢٨/١.

[٥٠] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣.

[٥١] ابن حجر ، لسان الميزان ١٥٨/١.

وقال البرقاني قال الدارقطني: هو ضعيف "[٥٢]. وقال الخطيب البغدادي: " سُئل أبو بكر البرقاني وأنا أسمع محمد بن الفرج الأزرق فقال : قال لي الدارقطني هو ضعيف قلتُ (يعني : الخطيب) : أما أحاديثه فصحاح ورواياته مستقيمة لا أعلم فيها شيئا يستنكر و لم أسمع أحدا من شيوخنا يذكره إلا بجميلٍ سوى ما ذكرته عن البُرقاني آنفا فالله أعلم ، وذكر الحاكم أبا عبد الله بن البيِّع أنه سمع الدارقطني يقول : محمد بن الفرج الأزرق لا بأس به من أصحاب الكرابيسي يُطعن عليه في اعتقاده"[٥٣].وأمّا نفور الناس من الكرابيسي ؛ فلأنه كما أشرت قبل قليل كان يقول : " لفظي بالقرآن مخلوق " وكان قد تكلّم في الإمام أحمد وحصلت بذلك جفوة بينه وبين الإمام فتركه وترك الناس الأخذ عنه ، قال ابن عدي في ترجمة الكرابيسي : " له كتب مصنفة ذكر فيها اختلاف الناس من المسائل وكان حافظا لها وذكر في كتبه أخبارًا كثيرة و لم أجد منكرا غير ما ذكرت من الحديث والذي حمل أحمد بن حنبل عليه من أجل اللفظ في القرآن فأما في الحديث فلم أر به بأسا سمعت محمد بن عبد الله الشافعي يقول – يخاطب المتعلمين لمذهب الشافعي ويقول لهم: اعتبروا بهذين النفسين حسين الكرابيسي وأبو ثور الحسين في علمه وحفظه وأبو ثور لا يَعشره في علمه فتكلم فيه أحمد بن حنبل في باب اللفظ فسقط وأثنى على أبي ثور فارتفع للزومه السنة "[٥٤].

وقال الخطيب البغدادي : كان فهمًا عالما وله تصانيفُ كثيرة في الفقه وفي الأصول تدل على حسن فهمه وغزارة علمه.. وحديث الكرابيسي يعزُّ جدًّا وذلك أن أحمد بن حنبل كان يتكلمُ فيه بسبب مسألة اللفظ وكان هو أيضا يتكلمُ في أحمد فتجنبَ الناسُ الأخذَ عنه لهذا السبب "[٥٥].

الثانية : تبرّم الناقد بأجزاء حديثية رواها عن أحد الرواة الثقات فلم تنفق عنه لتزول إسناده فيها ؛ ومن أمثلة ذلك تَعْريضُ الإمام الحافظ حمزة بن محمد بن علي الكِنَاني (ت ٣٥٧هـ) بأجزاء رواها عن ابن جُوصَاء أبي الحسن أحمد بن عمير الدمشقي (ت ٣٢٠هـ)، قال الإمام الذهبي في التذكرة في ترجمة ابن جُوصاء : " الإمام الحافظ النبيل محدث الشام ...جمع وصنف وتكلم على العلل والرجال... قال حمزة الكناني: عندي عن ابن جوصاء مائتا جزء ليتها كانت بياضا وترك حمزة الراوية عنه أصلاً .قلت (يعني:الذهبي): هذا تعنتٌ من حمزة والظاهر أنه تبرَّم بالمائتي جزء لتزولها عند حمزة ولا تنفق عنه ؛ فإن ابن جوصاء من صغار شيوخه وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي: سألتُ

---

[٥٢] الذهبي ، ميزان الاعتدال ٦/٢٩٤و٢٩٥.

[٥٣] الخطيب ، تاريخ بغداد ٣/١٥٩و١٦٠.

[٥٤] ابن عدي، الكامل في الضعفاء ٢/٣٦٦.

[٥٥] الخطيب ، تاريخ بغداد ٨/٦٥.

الدارقطني عن ابن جُوصاء فقال : تفرَّد بأحاديثَ و لم يكُنْ بالقويِّ قلت (يعني : الذهبي): الرجل صدوق حافظ وَهِمَ في أحاديث مغمورة في سَعة ما روى " [٥٦].

ح- **التعنت بسبب محاكاة ومتابعةِ الناقد شيخَهُ في تضعيفِ راوٍ من الرواة** ؛ وقد وقعَ هذا لابن سعدٍ صاحب الطبقاتِ في كثيرٍ من الرواةِ ؛ إذ ضعَّفهُم تَبَعًا لشيخه الواقديِّ ، وكانَ الوَاقِديُّ مُنحرفًا عن أهلِ العراقِ فجرحَ بعضهُم متأثرًا بهذا السبب. قال الحافظ ابن حجر في هدي الساري حين أورد ترجمة مُحارب بن دِثار: " قال ابن سعد: لا يحتجون به قلت (يعني : ابن حجر): بل احتجَّ به الأئمة كُلُّهم وقال أبو زرعة: مأمون ؛ ولكن ابن سعد يقلد الواقدي والواقدي على طريقة أهل المدينة في الانحراف على أهل العراق فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله "[٥٧]. وفي ترجمة نافع ابن عمرَ الجُمحيِّ قال الحافظ ابن حجر : " قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث فيه شيء، قلت(يعني : ابن حجر) : احتج به الأئمة وقد قدمنا أن تضعيف ابن سعد فيه نظر ؛ لاعتماده على الواقدي "[٥٨].

ط- **التعنّتُ على وجه المزاحِ** ؛ أخرج الخطيب في تاريخه بسنده قال : " أخبرنا البرقاني قال: سمعت أبا حامد أحمد بن الحسين الحاكم يقول: سمعت عمر بن أحمد الجوهري يقول: سمعت جعفر بن محمد الصائغ يقول: اجتمع علي بن المديني وأبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن حنبل وعفان بن مسلم فقال عفان (هو:ابن مسلم الصفَّار):" ثلاثة يضعفون في ثلاثة ؛ علي بن المديني في حماد بن زيد ،وأحمد ابن حنبل في إبراهيم بن سعد ،وأبو بكر بن أبي شيبة في شريك قال علي بن المديني وأربِّع معهم قال: من ذاك قال: عفان في شعبة. قال عمر بن أحمد (يعني الجوهري) : وكلُّ هؤلاء أقوياء ليس فيهم ضعيف ولكن قال هذا على وجه المزاح "[٥٩] قال الإمام الذهبي تعليقا على هذه القصّة : " هذا على وجه المزاح والتعنت فإنهم أربعتهم كتبوا عن المذكورين وهم أحداث فغيرهم أثبت في المذكورين منهم "[٦٠].

---

[٥٦] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٣/٧٩٥.

[٥٧] أحمد بن علي بن حجر ، هدي الساري ٤٤٣ (١٩٦٩م).

قال ابن سعد في ترجمة مُحارب بن دِثار : " له أحاديث ولا يحتجون به وكان من المرجئة الأولى ؛ الذين كانوا يُرجون عليا وعثمان ولا يشهدون بإيمان ولا كفر ".

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٦/٣٠٧.

[٥٨] ابن حجر ، هدي الساري ٤٤٧.وانظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥/٤٩٤.

[٥٩] الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢/٢٧٢.

[٦٠] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١/٣٨٠.

المطلب الثالث: معيار التعنت في حقِّ نقّاد المحدّثين.

يُراد من عقد هذا المطلب محاولة الإجابة عن السؤال الآتي حول واقع ومعيار التعنّت في حقّ نقّاد المحدثين: هل هو أمر مطلق أم نسبي ؟

إنَّ الناظر في أحوال النقّاد الذين غلبَ على أحكامهم التشدّدُ في الرواة يجدُ أنَّ معيارَ التعنّتِ فيهم ليس مُطلقا بل هو نسبي ؛ فالإمام يحيى القطّان على تشدّده إلّا أنه قد يتركُ حديث الرجل لأجل منهج اختطه وبرغم ذلك فهو يُنبه على أنَّ تركه لذلك الراوي لا يعني نبذ حديثه بالكليّة وإنّما الأمر بالنسبة للقطّان منهج لا يرغبُ في الخروج عنه؛ أخرج العُقيلي بسنده إلى علي بن المديني قال : " سمعت يحيى وذُكر عمر بن الوليد الشنِّي فقال بيده يحركها كأنه لا يقويه فاسترجعتُ أنا. فقال: مالكَ ؟ قلتُ: إذا حرَّكت يديك فقد أهلكته قال ليس هو عندي مِمَّن أعتمد عليه ، ولكنه لا بأس به "[٦١].

هذا وإنَّ عمرَ بن الوليد الشنّي الذي لا يتفق ومنهجَ القطان قد اعتدَّ به أبو حاتم الرازي ووثقه يحيى ابن معين على ما عُرف كلٌّ منهما بالتعنّت ووثقه أبو زرعة الرازي واعتد به الإمام أحمد وقال مرّة : شيخ ثقة فليُتَأَمّلْ هذا النموذج الذي يبرز لك نسبية التعنّتِ قال ابن أبي حاتم : " أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إليَّ قال: قال أبي عمر بن الوليد الشنِّي: ليس به بأس وقال مرة أخرى: شيخ ثقة ..(و)عن يحيى بن معين قال: عمر بن الوليد الشني ثقة .. (و) سألت أبي عن عمر بن الوليد الشني فقال: ما أرى بحديثه بأسا ومَن تتبع عمر (وجد) أن عامة حديثه عن عكرمة فقط ما أقل ما يجوز به إلى ابن عباس لا شبهه شبيب بن بشر الذي جعل عامة حديثه عن عكرمة عن ابن عباس ..(و) سألت أبا زرعة عن عمر بن الوليد الشني فقال : ثقة "[٦٢].

يقول الإمامُ الترمذي في بيان أنَّ معيار التعنتِ ليس مضطردًا بل هو متفاوت ونسبي : " إن كان يحيى بن سعيد القطَّان قد ترك الروايةَ عن هؤلاء فلم يترك الرواية عنهم ؛ لأنه اتهمهم بالكذب ولكنه تركهم لحال حفظهم. ذُكر عن يحيى بن سعيد أنه كان إذا رأى الرجل يُحدث من حفظه مرة هكذا ومرة هكذا

---

[٦١] العُقيلي ، الضعفاء الكبير ١٩٤/٣.

[٦٢] ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ١٣٩/٦.

لا يثبُت على رواية واحدة تركه وقد حدَّث عن هؤلاء الذين تركهم يحيى بن سعيد القطان عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من الأئمة "[٦٣].

وإذا نظرنا في حال الإمام ابن حبّان الذي اشتهر بتعنته وشدّته في نقد الرجال- حتى قال الإمام الذهبي كما أشرنا آنفا : ابن حبان ربما قصَّبَ الثقة (أي :عابه وطعن فيه) حتى كأنه لا يدري ما يخرُجُ من رأسه- نجدُ بالمقابل لذلك أنَّ مِن العلماء من نسبه إلى التساهل فقالوا :إنَّه متساهل في توثيق الرواة . قال الشيخ اللكنوي في كتابه الرفع والتكميل : " وقد نسبَ بعضهم التساهلَ إلى ابن حبَّانَ وقالوا : هو واسعُ الخَطْوِ في بابِ التوثيق يوثِّقُ كثيرا ممَّنْ يستحقّ الجرح، وهو قول ضعيف " وعلّق الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة على ما حكاه اللكنوي فقال : إنَّه على ما يبدو متساهلٌ في التعديلِ ، متشدِّد في الجرحِ ، وقد اشتهرَ تساهلهُ في التوثيق اشتهارًا كبيرًا ؛ إذ كلُّ راوٍ انتفتْ جهالة عينهِ كانَ ثقةً عندهُ إلى أنْ يتبيَّنَ جرحهُ، وقدْ نصَّ على تساهلهِ هذا غيرُ واحدٍ من العلماء القدامى والمتأخرين .."[٦٤]. هذا و لم يشر الشيخ لهؤلاء العلماء الذين وصفوه بالتساهل. ومن الدلائل على نسبية التعنت أيضًا عند نقّاد المُحدّثين أنَّ العجلي الذي تقدّم تعنته في الشافعي وتضعيفه إياه نجده يوصف بالتساهل في التوثيق مثل ابن حبّان يقول المعلمي اليماني في الأنوار الكاشفة : " توثيقُ العجلي وجدتهُ بالاستقراءِ كتوثيقِ ابن حبَّان أو أوسعَ ، وتساهلُ ابنِ حبَّانَ يرجعُ إلى قاعدتهِ : العدلُ من لم يُعرف فيه الجرح فإنها تقتضي توثيق كثير من مجهولي الحال عند غيره"[٦٥].

هذا وممّا يؤكّد أنَّ التعنتَ نسبي عند ابن حبّان ما وقع من تعريضه بصنيع الجوزجاني ومجازفاته في الجرح إذ قال : "..وكان صَلبا في السنة حافظا للحديث إلا أنه من صلابته ربما كان يتعدى طَوْرَهُ "[٦٦].

ومن النماذج التي تعدُّ أيضًا دليلا على أنَّ التعنّتِ نسبي وليس مطلقا ما حكاه الإمام الذهبي عن تعنّت عبد الرحمن بن مهدي مع كونه معروفا بالتساهل قال الذهبي : " قال علي بن المديني ذكرَ عبدُ الرحمن ابن مهدي رَوحَ بن عبادة. فقلت: لا تفعل فإن هنا قوما يحملون كلامك فقال : أستغفر الله ثم دخل فتوضأ يذهبُ إلى أن الغيبة تنقض الوضوء وقيل:إن عبد الرحمن تكلم فيه ؛ وهم في إسناد حديث " (علّق الذهبي على صنيع ابن مهدي بقوله) : " هذا تعنت وقلة إنصاف في حق حافظ قد روى ألوفًا كثيرة من الحديث فوهم في إسناد ؛ فروح لو أخطأ في عدة أحاديث في سعة علمه لاغتفر له ذلك أسوة نظرائه

---

[٦٣] محمد بن عيسى الترمذي ، العلل الصغير ٧٤٤ (١٩٣٨م).

[٦٤] محمد بن عبد الحي اللكنوي ، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ٣٣٥ (١٩٨٧م).

[٦٥] عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، الأنوار الكاشفة ٧٢ (١٩٩١م).

[٦٦] ابن حبان ، الثقات ٨٢/٨.

ولسنا نقول: إن رتبة روح في الحفظ والإتقان كرتبة يحيى القطان بل ما هو بدون عبدالرزاق ولا أبي النَّضر "[٦٧].

ولكي نعلم أنَّ التعنتَ نسبي وليس على إطلاقه وأنْ ليس كلُّ جرح يصدر من المتعنّت لا يعتدُّ به – أسوق في هذا المقام كلام الذهبي في كتابه (مَنْ يُعتمدُ قولهُ في الجرحِ والتعديل) إذ يقول : " عبد الرحمن بن مهدي كان هو ويحيى القطّان قد انتُدِبا لنقد الرجال وناهيكَ بهما جلالةً وعلمًا وفضلا ؛ فمن جرحاهُ لا يكادُ والله يندملُ جرحه ، ومن وثّقاه فهو الحجّة المقبول ، ومَن اختلفا فيه اجتُهِدَ في أمْرِه وَنَزَلَ عن درجةِ الصحيحِ إلى الحسنِ "[٦٨].

المطلب الرابع: آثار التعنت في واقع علم الجرح والتعديل.

إنَّ التعنتَ بوصفه ظاهرة برزت في أوساط نقّاد الحديث كانَ له آثارُ جليّة في واقع علم الجرح والتعديل ، وهذه الآثار منها الإيجابي ومنها السلبي وفيما يأتي بيان ذلك :

أ- الآثار الإيجابية للتعنّت.

ويمكن إبراز ذلك في الآتي:

١- **بيان قوة علم الجرح والتعديل**؛ فوجود النقّاد الجهابذة المتعنّتين ظاهرة صحيّة في بيئة المحدثين من حيث إنها تدلُّ على أنَّ علم الجرح والتعديل كانَ راسخ الأركان شامخ البنيان ، وأنَّ القائمينَ عليه ليس عندهم هوادة أو تسمُّح يُفضي إلى التقصير أوالخلل، ومن هنا نجد الإمام الذهبي يقول في القسم الأول مِن أقسام مَنْ تكلّموا في الرجال : " قسم منهم متعنت في الجرح متثبت في التعديل، يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث فهذا إذا وثق شخصا فعَضَّ على قوله بنواجذك وتمسك بتوثيقه، وإذا ضعف رجلا فانظر: هل وافقه غيره على تضعيفه"[٦٩].

٢- **التأكيد على شدّة الورع والتقوى عند علماء الجرح والتعديل وبيانُ عظيم الاحتياط لديهم في ذبّ الكذبِ والغلط عن سنّة رسول الله** ﷺ. قال الخطيب البغدادي : " ينبغي للمحدِّث أن

---

[٦٧] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٠٦/٩.

[٦٨] محمد بن أحمد الذهبي ، من يُعتمدُ قولهُ في الجرح والتعديل ١٦٧ (١٩٨٤م).

[٦٩] الذهبي ، من يُعتمدُ قولهُ في الجرح والتعديل ١٥٨.

يتشدد في أحاديث الأحكام التي يفصل بها بين الحلال والحرام فلا يرويها إلاعن أهل المعرفة والحفظ وذوي الإتقان والضبط ... "[٧٠].وأخرج الخطيب بإسناده إلى أبي بكر محمد بن خلاد الباهلي قال: أتيتُ يحيى (يعني:ابن سعيد القطان) مرة فقال لي: أين كنتَ؟ فقلتُ: كنت عندَ ابن داود فقال: إني لأشفق على يحيى من ترك هؤلاء الرجال الذين تركهم فبكى يحيى وقال : لأن يكون خصمي رجل من عَرض الناس شككت فيه فتركته أحبَّ إليَّ من أن يكون خَصْمي النبي ﷺ ويقول : بلغك عني حديث سبق إلى قلبك أنه وَهْم فلم حدثت به ؟؟"[٧١]

وحكى الإمام المزي قال : " قال هارون بن بشير الرازي: رأيتُ يحيى بن معين استقبل القبلة رافعا يديه يقول: اللهمَّ إن كنتُ تكلّمْتُ في رجل وليس هو عندي كذّابًا فلا تغفر لي "[٧٢].

وحكى الحافظ المزي أيضا قال:" قال جعفر بن محمد بن كِزال: كنت مع يحيى بن معين بالمدينة فمرض مرضه الذي مات فيه وتوفي بالمدينة فحُمل على سرير رسول الله ﷺ ورجل ينادي بين يديه هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، وقال أحمد بن محمد بن غالب: لما مات يحيى بن معين نادى إبراهيم بن المنذر الحِزامي: مَن أراد أن يشهد جنازة المأمون على حديث رسول الله ﷺ فليشهد "[٧٣].

٣- **فرزُ الرواة المتقنين للحديث من غير المتقنين** ؛ لأنَّ عالم الجرح والتعديل المتعنّت أشبه بالمصفاةِ دقيقةِ الثقوب لا يبقى فيها إلا مَن هو أهل للبقاء بصرف النظر عن صلاح وديانة أولئك الرواة ، أخرج الخطيب بإسناده عن أبي بكر محمد بن مهرويه بن سنان الرازي يقول: سمعت علي ابن الحسن بن الْجُنيد يقول: سمعت يحيى بن معين يقول : إنا لنطعنُ على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة . قال الخطيب: " كلامُ يحيى بن معين هذا فيه بيان أنَّ من عَلم مِن حال الرواة أمرا لا يجوز معه قبول روايتهم وجب عليه إظهاره ؛ لأن الحديث لا يُكتفى في قبوله لمجرد الصلاح والعبادة كما لا يكتفى بذلك في قبول الشهادة "[٧٤].

ب–الآثار السلبية للتعنّت .

---

[٧٠] الخطيب ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ٩١/٢.

[٧١] الخطيب ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ٩١/٢.

[٧٢] المزي ، تهذيب الكمال ٥٥٤/٣١.

[٧٣] المزي، تهذيب الكمال ٥٦٧/٣١.

[٧٤] الخطيب ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ٢٠١/٢.

أمَّا الآثار السلبية للتعنّت فعديدة ؛ إذ كلُّ شيء زاد عن حدّه انقلبَ إلى ضدّه ، ويمكنُ إبراز هذه الآثار في الآتي:

١- **ظهورُ العصبية المذهبية وغيابُ الإنصاف العلمي أحيانا**؛ فقد نجم عن التعنت تعصّب الناقد في بعض الأحيان للمذهب الذي ينتمي إليه (فقهيا أو عقديا) دونما وجه حقٍّ ، الأمر الذي يجعله يقدح في كلِّ من كان على غير شاكلته في المذهب، ومن أمثلة ذلك ما تقدّم بيانه من طعن الإمام يحيى بن معين – رحمه الله – في الإمام الشافعي –رحمه الله – ؛ فقد كان يحيى متعصبا لمذهب أبي حنيفة النعمان – رحمه الله– قال الإمام الذهبي : " قد آذى ابن معين نفسه بذلك و لم يلتفتِ الناس إلى كلامه في الشافعي ... وكلامه في الشافعي ليس من هذا اللفظ الذي كانَ عن اجتهاد وإنما هذا من فلتات اللسان بالهوى والعصبية فإنَّ ابنَ معين كان من الحنفية الغُلاة في مذهبه وإنْ كان مُحَدِّثاً "[٧٥].

قال الحافظ ابن حجر : " وممن ينبغي أن يتوقف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد فإن الحاذق إذا تأمل ثَلْبَ أبي إسحاق الجُوزجاني لأهل الكوفة رأى العَجَب وذلك لشدة انحرافه في النَّصْب وشهرة أهلها بالتشيع ... ويلتحق به عبد الرحمن ابن يوسف بن خِرَاش المحدث الحافظ ؛ فإنّه من غلاة الشيعة بل نُسِبَ إلى الرفض فيُتأنّى في جرحه لأهل الشام للعداوة البينة في الاعتقاد "[٧٦].

وينبغي التنبيه هاهنا إلى أنَّ العصبية التي لا ينظِمها الإنصاف في هذا المقام تهدر الطاقاتِ والكفاياتِ العلمية ولأجل ذلك نجد الإمام علي بن المديني يقول: " لو تركتُ أهل البصرة لحال القدر ولو تركت أهل الكوفة لذلك الرأي يعني التشيع خرُبت الكتب قال الخطيب : قوله (خربت الكتب) يعني لذهب الحديث"[٧٧].

هذا وبالجملة فالتعصب والهوى منهي عنه بصريح القرآن الكريم وذلك قول الله عزّ وجل : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ **[ص:٢٦]**. وعليه فالناقد حاكم ينبغي عليه أن لا ينجرف وراء هوى أو عصبية.

---

[٧٥] الذهبي ، الرواة الثقات المُتكَلّم فيهم بما لا يوجبُ ردّا ٢٩و٣٠.

[٧٦] ابن حجر ، لسان الميزان ١٦/١.

[٧٧] الخطيب ، أحمد بن علي الخطيب ، الكفاية في علم الرواية ١٢٩ (دون تاريخ).

٢- **حرمانُ الأمة من كثير من الروايات الصحيحة بتضعيف راوٍ مطلقا**؛ لمجرّد وهمه في حديث بعينه. قال الإمام الذهبي في ترجمة إبراهيم بن طَهمان : " ثقة متقن من رجال الصحيحين وكان مرجئا ؛ فهذا رجل عالم كبير القدر بخراسان أخطأ في مسألة فكان ماذا؟! أفبمجرد الإرجاء يضعف حديث الثقة ويهدر؟! فقد كان من هو أكبر من إبراهيم مرجئا بما لا يوجب ردا"[٧٨].

٣- **العداوةُ والقطيعة التي لا داعي لها فيما بين أهل العلم بسبب اختلاف وجُهات النظر العلمية**؛ فالتعنّتُ في الجرح الذي باعثه المعاصرة في السنِّ أو اختلاف الاجتهاد والنظر في مسألة علمية أو العمل بحديث ما أو تركه يُفضي في الحقيقة إلى العداوة التي لا داعي لها بين العلماء ، ويضيّق صدور بعضهم على بعض؛ إذ الأصل أنَّ الاختلاف في الرأي لا يُفسدُ للودِّ قضيّة ، ومن نماذج هذا اللون من التعنّت كلام الإمام محمد بن أبي ذئب في الإمام مالك بن أنس-رحمهما الله- ؛ لأن مالكا لم يأخُذ بمقتضى حديث النبي ﷺ: " البيِّعان بالخِيارِ مَالَمْ يَتَفَرَّقَ..."[٧٩] ، لمخالفته عملَ أهل المدينة ؛ فقد أورد عبد الله بن أحمد بن حنبل في العلل عن أبيه أنه قال : " قالوا لابن أبي ذئب إن مالكا يقول: ليس البيعان بالخيار فقال ابن أبي ذئب: هذا خبر موطأ في المدينة ... يُستتاب مالك فإن تاب وإلا ضُربت عنقه "[٨٠]. زاد الإمام الذهبي في السير : " ثمّ قال أحمد: هو أورع وأقْوَلُ بالحق من مالك. قلت (يعني الذهبي): لو كان ورعًا كما ينبغي لما قال هذا الكلامَ القبيح في حق إمام عظيم ؛ فمالكٌ إنما لم يعمل بظاهر الحديث ؛ لأنه رآه منسوخا وقبلُ عملَ به وحمل قوله (حتى يتفرقا) على التلفظ بالإيجاب والقَبول فمالك في هذا الحديث وفي كل حديث له أجر ولا بدَّ؛ فإن أصاب إزداد أجرا آخر ،وإنما يَرى السيفَ على من أخطأ في اجتهاده الحَرورية، وبكل حال فكلام الأقران بعضهم في بعض لا يعوّل على كثير منه فلا نقصت جلالة مالك بقول ابن أبي ذئب فيه ولا ضعَّف العلماء ابن أبي ذئب بمقالته هذه بل هما عالما المدينة في زمانهما -رضي الله عنهما- ولم يسندها الإمام أحمد (يعني: قصة استتابة مالك) فلعلها لم تصح"[٨١].

وكذا من نماذج ذلك قول ربيعة بن أبي عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي شيخ مالك في أبي الزناد عبد الله بن ذكوان : ليس بثقة ولا رضيٍّ ؛ حكى الإمام الذهبي قال : " قال إبراهيم ابن المنذر

---

[٧٨] الذهبي ، الرواة الثقات المُتكَلّم فيهم بما لا يوجبُ ردّا ٣٥.

[٧٩] محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح كتاب البيوع ، باب: باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ٧٤٣/٢ (١٩٨٧م).

[٨٠] أحمد بن محمد بن حنبل ، العلل ومعرفة الرجال ٥٣٩/١ (١٩٨٨م).

[٨١] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٤٢/٧و١٤٣.

الحِزامي: هو كان سبب جلد ربيعة الرأي ، ثم ولي بعد ذلك المدينة فلان التيميُّ فأرسل إلى أبي الزناد فطيَّن عليه بيتا فشفع فيه ربيعة. (قلت: يعني الذهبي): تؤول الشحناء بين القرناء إلى أعظم من هذا. قال الإمام الذهبي: ولما رأى ربيعةُ أنَّ أبا الزناد يهلك بسببه ما وسعه السكوت فأخرجوا أبا الزناد وقد عاينَ الموت وذُبل ومالت عنقه نسأل الله السلامة...و انعقد الإجماع على أن أبا الزناد ثقة رضي، وقيل: كان مالك لا يرضى أبا الزناد وهذا لم يصح وقد أكثر مالك عنه في موطئه "[٨٢].

وقال الحافظ ابن حجر : " لم يلتفت الناس إلى ربيعة في ذلك للعداوة التي كانت بينهما بل وثقوه وكان سفيان الثوري يسميه أمير المؤمنين واحتجَّ به الجماعة "[٨٣]. ومن ذلك أيضا طعن كلٍّ من الإمامين مالك بن أنس ومحمد ابن إسحاق – رحمهما الله– في الآخر ؛ أخرج ابن أبي حاتم بسنده من طريق يحيى بن آدم قال أخبرنا ابن إدريس قال: كنت عند مالك بن أنس وقال له رجل: يا أبا عبد الله إني كنت بالرّي عند أبي عبيد الله وعند محمد بن إسحاق فقال محمد بن إسحاق: اعرضوا عليَّ علم مالك فإني أنا لأوسعهم. فقال مالك: دجال من الدجاجلة يقول: اعرضوا على علمي"[٨٤].

وقال الإمام البخاري في جزء القراءة خلف الإمام: " لو صح عن مالك تناوله من ابن إسحاق فلربما تكلم الإنسان فيرمي صاحبه بشيء واحد ولا يتهمه في الأمور كلها.وقال إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن فليح : نهاني مالك عن شيخين من قريش وقد أكثر عنهما في الموطأ ، وهما ممن يحتج بحديثهما ، و لم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي وكلام الشعبي في عكرمة ، وفيمن كان قبلَهم ، وتأويل بعضهم في العرض والنفس ، و لم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة و لم يسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابتٍ وحُجّة "[٨٥].

٤- **الانتقاصُ من قَدْرِ من كانَ من أهل العلم وعملَ لدى السلطانِ أو أخذَ جائزة منه أو أُجرةً على التحديث من الرواة أو لاعتماد ذلك الراوي صيغة للتحمل هي موضع خُلفٍ بين العلماء** ؛ فالتعنتُ دفع عددا من الأئمة إلى الجرح والتقريعِ بأئمة آخرين لوقوعهم في شيء من ذلك، وهذا التعنت في الحقيقة أمر غير مرضيٍّ ؛ لما له من أثر سلبي يقتنصه مَن يريد أن يتصيّد في الماء العكرِ من المستشرقينَ وغيرهم إذ يُظهر أولئك الأئمة المجروحين بلا ذمة ولا أمانة ولا عدالة معَ العلم يقينا أنَّ الأئمة المتعنتين في الجرح غايتهم مزيد التورّع ولكنه تورعٌ زائد عن حدّه،

---

[٨٢] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٤٨/٥و٤٤٩.

[٨٣] ابن حجر ، هدي الساري ٤١٣.

[٨٤] ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ١٩٣/٧.

[٨٥] محمد بن إسماعيل البخاري ، خير الكلام في القراءة خلفَ الإمام ٣٦ (دون تاريخ).

وكما قيل ما زاد عن حدِّه انقلب إلى ضدِّه ، ومن نماذج ذلك كلام الإمام يحيى بن معين في الإمام الزهري إذ حكى الحاكم قال : " قال له إنسان الأعمش مثل الزهري؟ فقال: بَرئت من الأعمش أن يكون مثل الزهري؛ الزهري يرى العرض والإجازة وكان يعمل لبني أمية وذكر الأعمش فمدحه فقال: والأعمش فقير صبور مجانبٌ السلطان"[٨٦]، ومن نماذج ذلك أيضًا كلام الإمام يحيى بن معين في الإمام الأوزاعي ؛ قال: " كان الأوزاعي يتدين بالمناولة وفي العرض يقول قرأت وقرىء عليَّ "[٨٧].

وأمّا قبول الجوائز فقال الحافظ ابن حجر: " أما قبول الجوائز فلا يقدح .. إلا عند أهل التشديد وجمهور أهل العلم على الجواز"[٨٨].

٥- **أصبحَ التعنتُ من أحد العلماءِ ذريعةً للآخرين يُشككون من خلاله في نزاهة حكمه على راوٍ من الرواة** ؛ ففي ترجمة همّام بن يحيى العَوْذِي (ثقة أخرج له الشيخان) قال ابن عدي: " أخبرني إسحاق بن يوسف أظنه عن عبد الله بن حنبل عن أبيه قال: شهد يحيى بن سعيد(يعني: القطّان) في حداثته بشهادة وكان همام على العدالة يعني: أنَّ همام لم يعدله فتكلم فيه يحيى لهذا "[٨٩] فهذه الحكاية التي ذكرها الإمام أحمد – رحمه الله- و لم يعاينها هي في مضمونها تجنٍّ على الإمام يحيى القطّان – رحمه الله- وهو من جلّة أئمة الحديث الكبار؛ فهي تقدح في نزاهته وموضوعيته حينما ردَّ رواية العوذي و لم يرتضها.

---

[٨٦] الحاكم ، معرفة علوم الحديث ٥٤ .

[٨٧] يحيى بن معين ، تاريخ ابن معين (رواية الدوري) ٤/٤٨٠ (١٩٧٩م).

[٨٨] ابن حجر ، هدي الساري ٤٢٥.

[٨٩] ابن عدي ، الكامل في الضعفاء ٧/١٣٠.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث يمكن الوقوف على النتائج والخلاصات الآتية:

١- التعنتُ طبعٌ في النّاقد يحمله على التشدد حين الحكم على راوٍ بتضعيفه، مرّده أسباب نفسية أو علمية أو دينية أو تعصب وهوى.
٢- إنَّ أصل التعنت في اللغة التشدد والإهلاك وتبرز العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للتعنّت في حال الناقد المتعنت من خلال أنَّ الناقدَ حين يتشدد في الحكم على راوٍ من الرواة فإنه يهلكه بتضعيفه له ويُهدر روايته.
٣- الأصل في النّاقد أن يكون معتدلا حين إصداره الأحكام على الرواة بعيدًا عن التساهل وكذا بعيدًا عن التشدد غير المحمود ؛ فالاعتدال والوسطية سمة هذه الأمّة، وعليه ينبغي تمثل ذلك فيها على صعيد الأفراد والجماعات.
٤- يرجع التعنتُ في الناقد إلى أسباب منها النفسي نحو كيد الخصوم له أو إحراقهم كتبه ومضايقتهم له وكذا الجِبِلّةُ التي ينشأ عليها الناقدُ في طفولته وشبيبته أو الاعتدادُ الزائد بالنفس عنده أو الغيرة فيما بينه وبين أقرانه. ومن هذه الأسباب الحاملة على التعنّتُ ما يكونُ مردّهُ أمورٌ علمية تتعلّق بمنهجيّة النّاقد في التعامل مع الراوي كأن يقوم بتضعيف الراوي بدعوى أنّه لم ينصَّ أحد من الأئمة على عدالته أو أن يضعفه في عموم روايته ؛ لأنه غلط في حديث واحد ،أو بسبب أنَّ الراوي مشهور بالفقه لا بالتحديث ويغلب

عليه ذلك. هذا ومن أسباب التعنت ما يكون باعثه دينياً على سبيل الورعِ خشية أن ينفذَ حديثٌ غلطٌ أو فيه كذبٌ على النبيِّ ﷺ ومن أسباب التعنّتِ ما يكونُ مرجعُها إلى التعصُّب لمذهبٍ أو الاختلافِ في الاعتقاد بين الناقد وأحد الرواة، وكذا من تلك الأسباب ما يؤول إلى كثرة رواية أحد الرواة المناكير في تواليفه، ومن أسباب التعنتِ كذلكَ ما يعود إلى ضيقٍ في أفق النّاقد كأن يُضعفَ الناقدُ راوياً لمجرد صحبته لراو متكلّم فيه ، أو يضعف الناقد راوياً من الرواة الثقاتِ تبرّما منه بأجزاء حديثية رواها عنه فلم تلق رواجًا عنه من لدن الرواة لتزول إسناده فيها، وكذا من أسباب التعنت تضعيف الناقد راويا من الرواة سيرًا على طريقة شيخِه في التضعيفِ أو أن يضعفه على سبيل المزاح والأصل أنه ليس في مثل هذا المقام مزاحٌ.

٥- يعدُّ معيار التعنت في حقِّ نقّاد المحدثين معيارًا نسبيا وليس مطلقًا ؛ فقد لوحظ أنَّ نقّاد المحدثين ربما يتجاذبون فيما بينهم راوياً من الرواة توثيقا و تضعيفا ، وكذا لوحظ أنَّ الناقد ربما جرح فلانا من الرواة لا لأنه لا يعتدُّ به ولكن لطريقة ومنهجية عند ذلك الناقد غايتها مزيد التحوط والتثبّت.

٦- للتعنت آثار منها الإيجابي ومنها السلبي ؛ فمن الآثار الإيجابية بيانُ قوة علم الجرح والتعديل؛ وأنَّ هذا العلم كانَ راسخ الأركان وأنَّ القائمينَ عليه ليس عندهم هوادةٌ أو تسمُّح يُفضي إلى التقصير أو الخلل، ومن نلك أيضا التأكيدُ على شدّة الورع والتقوى عند علماء الجرح والتعديل وبيانُ عظيم الاحتياط لديهم في ذبّ الكذبِ والغلط عن سنّة رسول الله ﷺ،وكذا أيضا من تلك الآثار الإيجابية للتعنت فرز الرواة المتقنين للحديث من غير المتقنين. أمّا الآثار السلبية للتعنت فتتبدّى في ظهور العصبية المذهبية وغياب الإنصاف العلمي أحيانا من لدن النّاقد ، وكذا حرمانُ الأمة من كثير من الروايات الصحيحة بتضعيف راوٍ مطلقا؛ لمجرّد وهمه في حديث بعينه، ومن تلك الآثار السلبية العداوة والقطيعة التي لا داعي لها فيما بين أهل العلم بسبب اختلاف وجهات النظر العلمية، ومنها أيضا الانتقاصُ من قَدْرِ من كانَ من أهل العلم راويا للحديث وعملَ لدى السلطانِ أو أخذَ جائزة منه أو أُجرةً على التحديث من الرواة أو لاعتماده صيغة للتحمل هي موضع خُلفٍ بين العلماء، وكذا أيضا بات التعنت من أحدِ النقّادِ ذريعة للآخرين يشككون من خلاله في نزاهة حكمه على راوٍ من الرواة.

٧- إنَّ مما ينبغي التنبيه إليه أنَّ المظاهر السلبية للتعنت لم تأخذ حظها ؛ لأنَّ علماء الجرح جيلا بعد جيل قد دققوا في أقوال أصحابهم وعرضوها على ميزان العدلِ والإنصاف فمازوا المتعنّت وتجافوا تعنته، وارتضوا منه ما فيه اعتدال وإنصاف.وففي ذلك كله أبلغ دليل على سلامة ونقاء منهج النقد عند المحدّثين وردٌّ على الطاعنين والمشكِّكين فيه.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ، الطبعة الرابعة،بيروت:دار الكتاب العربي، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

- أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ، تحقيق: د.محمود الطحان ،دون طبعة، الرياض: مكتبة المعارف، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

- أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، تحقيق : أبو عبد الله السورقي وآخر ، دون طبعة ، المدينة المنورة: المكتبة العلمية، (دون تاريخ).

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، الطبعة الأولى،بيروت: دار الفكر، (١٤٠٤هـ -١٩٨٤م).

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الثالثة،بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (١٤٠٦هـ -١٩٨٦م).

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، هدي الساري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخر ،دون طبعة ، بيروت:دار المعرفة،(١٣٧٩هـ-١٩٦٩م).

- أحمد بن محمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، الطبعة الأولى،بيروت: المكتب الإسلامي، الرياض: دار الخاني، (١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).

- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ، سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود ، تحقيق: د.محمد علي قاسم العمري ، الطبعة الأولى،المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

- عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، الطبعة الأولى،بيروت:دار إحياء التراث العربي، (١٣٧١هـ - ١٩٥١م).

- عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، الأنوار الكاشفة ، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م).
- عبد الله بن عدي ، الكامل في الضعفاء ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، الطبعة الثالثة،بيروت:دار الفكر، (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م).
- المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر الزاوي وآخرين ، الطبعة الثانية، بيروت:دار الفكر، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م).
- محمد بن أحمد الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- محمد بن أحمد الذهبي ، الرواة الثقات المُتكَلّم فيهم بما لا يوجبُ ردّا ، تحقيق: محمد إبرهيم الموصلي، الطبعة الأولى، بيروت:دار البشائر الإسلامية،(١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- محمد بن أحمد الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ،دون طبعة ، دون مكان: دون ناشر، (دون تاريخ) .
- محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخر ،الطبعة التاسعة،بيروت: مؤسسة الرسالة،(١٤١٣هـ -١٩٩٣م).
- محمد بن أحمد الذهبي ، من يُعتمدُ قولهُ في الجرح والتعديل ، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الخامسة،دون مكان:دون ناشر، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
-محمد بن أحمد الذهبي ، ميزان الاعتدال، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض وآخر ،الطبعة الأولى ، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
-محمد بن أحمد الذهبي، المغني في الضعفاء ، تحقيق: د.نور الدين عتر ، دون طبعة ، دون مكان: دون ناشر، (دون تاريخ).
-محمد بن إسماعيل البخاري ، التاريخ الكبير ، تحقيق: السيد هاشم الندوي ،دون طبعة، دون مكان:دار الفكر، (دون تاريخ).
-محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح ، تحقيق : د.مصطفى ديب البغا ،الطبعة الثالثة، بيروت واليمامة: دار ابن كثير، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
-محمد بن إسماعيل البخاري، خير الكلام في القراءة خلفَ الإمام ،دون طبعة، بيروت: دار الكتب العلمية ، (دون تاريخ).

-محمد بن حبان ، الثقات ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، الطبعة الأولى، دون مكان:دار الفكر، (١٣٩٥هـ -١٩٧٥م).
-محمد بن حبان ، المجروحين ، تحقيق: محمد إبراهيم زايد ، الطبعة الأولى، حلب: دار الوعي، (١٣٩٦هـ -١٩٧٦م).
-محمد بن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى ،دون طبعة،بيروت:دار صادر، (دون تاريخ).
-محمد عبد الحي اللكنوي ، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة، بيروت:دار الأقصى، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
-محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، تحقيق: السيد معظم حسين ،الطبعة الثانية،بيروت:دار الكتب العلمية، (١٣٩٧هـ -١٩٧٧م).
- محمد بن علي الحسيني ، الإكمال لرجال أحمد ، تحقيق: د.عبد المعطي أمين قلعجي ،دون طبعة،كراتشي جامعة الدراسات الإسلامية، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- محمد بن عمر العُقيلي (ت ٣٢٢هـ) ، الضعفاء الكبير ، تحقيق: د.عبد المعطي أمين قلعجي ، الطبعة الأولى، بيروت:دار الكتب العلمية، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .
- محمد بن عيسى الترمذي، العلل الصغير ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ،دون طبعة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٣٥٧هـ-١٩٣٨م).
- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، الطبعة الثانية ، بيروت: دار صادر، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ،دون طبعة، بيروت:دار الفكر، (دون تاريخ).
- يحيى بن معين ، تاريخ ابن معين (رواية الدوري) ، تحقيق: د.أحمد محمد نور سيف ، الطبعة الأولى، دمشق: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
- يوسف بن عبد الرحمن المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق: د.بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى،بيروت:مؤسسة الرسالة،(١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد ، تحقيق :مصطفى بن أحمد العلوي وآخر ،دون طبعة، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م).